في يقظة القومية

☆

لما تزل جزيرتنا تتمخض ولما تزل هذه الامال الجسام المركزة في الصدور تتحسس رتائج المعابر وتتهمم في جوانح الانطلاق ولما تزل عين الغد بين دفقات الشوق والايمان وتلفت الشك والفطنة والطموح .

الغد كالقدر حكاية مبهمة ولكن الذين آمنوا مثلنا بغدهم وهم في قمة حاضرهم لا يثنيهم غموض المنتظر عن خط التصاميم فتركيز الزوايا، لان نخوة الحق في خلية ضمائرهم هي طمأنينة المغامرة ، وثقة التطلع وحجارة الجدران العالية .

السهر على نمو العافية عافية . ومتى كانت الشجرة الغنية الخضراء في الارض الغنية الخضراء ، عاقة بزارعها الساهر فهي حتى في المحل فيء ، ومقيل وامل وبركة . ان غدنا العربي لن يكون محلا لان النوى التي زرعها آباؤنا في مطاف الجزيرة منابت ازلية للنور ومنازل للرفعة والحرية . وفي سمائنا للحرية منذ تسيلت المجرة في الجلد ، آلهة ، ومباخر ، واناشيد تحسبها في الدعاء والتأمل نبضات الزمن الخالد كلما انقطعت منه لحمة ، تجددت فيها نغمة . نحن في الطريق الى يقظة التحرر الشاملة . والعقبة للمؤمن السائر خطوة القدامى . في كل عثرة دفعـة الى الامام ، شأننا شأن اليم الزاخر يتموج ويزبد ويهدر ويتكسر ويتدافع والريح الى هدأة الشاطىء ، والشاطىء للبحر صدارة العين .

وصدارة عيننا نحن هي هذه الارض العربية المتحفزة ، ارضنا ، التي سميت بالجزيرة ، لا لأن الماء يحتاط بها من كل صوب كما ظن اصحاب المخطط ، بل لانها هي نفسها التي تحتاط بالماء ، ماء الحياة ، جبهة الله ، من كل صوب .

فلنملأ خلية حروفنا من هذه الجزيرة ، من هذه الينابيع الضخمة المعتقة في كروم الازل . ولنكن سماحاً .

والسماحة عندنا في القومية غضب نبيل على الظلمة ، ومحبة غنية للضياء . والغضب لدة المحبة فالذين يتألهون في دنيا المحبة هم الذين يتألهون في مدار الغضب . القومية العربية محبة مقدسة وغضب مقدس غضب على صلف المختال ، ومهارة المفسد على غطرسة المعتدي وابهة المسرف ، على الخائن ، والخوان على قوة الظالم وتجبر المتكبر ، على الذين يودون ان ننسى امسهم ، ليسلم يومهم فيخدعنا غدهم على الذين اعطتهم ارضهم أعنة البيان فجعلوا من او تار حناجرهم وصرير اقلامهم احقاداً ضد وطنييهم ، وغنائم لمستعمريهم . على اولئك الذين نسوا في الشدة امتهم فنسيهم بصرهم ... ولهم اعين لا يبصرون بها ...

على اولئك الذين اكلهم الموت قبل ان يأكلوا ، هم ، باظافر الموت ، حقيقة وطنهم ...

متى يؤمن سكان الجزيرة ، اي سكان عين الشمس انهم هم الهادون المقسطون ، وان هذه الامال التي يحلمون بها لن تتجسد حقيقة جلية ما لم نقوّ في اعماق معرفتنا ملكة الذاكرة النبيهة الواعية فينبسط ماضينا امامنا انبساطاً نيراً .

يجب ان تحيا في ضمائرنا ملكة الروية ، ملكة الذاكرة ، يجب ان نحيا حياة الوتر ، لا الفردي الدموي ولا القبلي بل الوتر القومي والوتر القومي ، هو غضب مقدس نتحذر به من خيانة المارقين والشعوبيين وهو محبة مقدسة ندرأ بها ، كالدرع ، الشر عن مصير الوطنيين . الوتر القومي يعني ان العربي الذي ، يولى ، فيعبث ويظلم عربي مضلل مشرك وان الذي يجزيء في الباطل وحدة وطنه يجزيء ضميره ، يجزيء ربه وان اصحاب الردة والانهزام ، هم وحدهم الذين يجزئون ، اي يكفرون ولا ردة في القومية ، شأن القومية شأن الدين ، فعلى العرب في كل مطل من ارضهم الرحبة ، القريبة والنائية ان يتذكروا دائماً ان لوطنهم رسالتين ، اعظم بهما من رسالة : رسالة غضب ورسالة محبة . وعلى الغضب والمحبة بنى آباؤنا اسس الارض او لنقل منصفين ، اسس البشر وفي يدنا رسالتان ، الغضب والمحبة ، في يدنا الجديدان وبهما وحدهما نقود الناس الى الايمان بعظمة الناس

ومتى آمنا بانفسنا تعلمنا الايمان بوطننا فالايمان بربنا . ان الله في الجزيرة العربية صوت الحرية او لنقل : ان الحرية في صوت الله جزيرة عربية ايها العرب ، قدسوا وطنكم اما الذين جعلوا من وطنهم ندوة لتقديس اوطان الناس فاولئك امرهم عند ربهم ان ربهم كان بهم غضوبا ...

الياس خليل زخريا

المرأة والتمثال

☆

كانت مثله الاعلى للجمال ، لا يفارق طيفها خياله ، والتقى بها بعد سنوات طوال ، فـاذا ذلك الجمال ، اثر بعد عين . فعاد الى بيته ، واول ما وقع طرفه عليه ، صورة لتمثال فينوس ، تلك المرأة ، التي بقي ظل جمالها وسيبقى على الزمان ، متعة كل طرف ، ونجوى كل قلب .

☆

حسناء ! هذه دمية منحوتة من مرمر
طلعتْ على الدنيا طلوع الساخر المستهتر
ومشت الى حرم الخلود على رقاب الاعصر !

***

عريانة ، سكرَ الخيالُ بعريها المتكبر
ابداً ، ممتَّعة بينبوع الصبا المتفجر
نرنو اليها في وجوم الحالم المستفسر
والطرف بين منقَّل من سحرها ومسمَّر
وشَّى بها ، ازميلُ ناحتها الجمالَ العبقري
ومضى ... وبنت رؤاه لم تكبر ، ولم تتغير

***

حسناء ! ما اقسى فجاآت الزمان الازور
اخشى تموت رؤاي ان تتغيري ... فتحجري !!

حلب

عمر ابو ريشة



مجاعة ادبية!

بقلم عبد الله المشنوق

ضمني

منذ عام حلقة ادبية في فندق « كونتنتال » في القاهرة ، كان قوامها ثلاثة من ادباء مصر المعروفين ، احمد حسن الزيات، وتوفيق الحكيم ، وكامل كيلاني ، فدار الحديث حتماً حول النهضة الادبية في العالم العربي وتطرقنا الى ادب الحرب وادب ما بعد الحرب – وكادت كلمتنا تجمع على ان الادب العربي الحديث لا يمت الى الحياة العربية بصلة وثيقة وان ادبنا لا يستمد عناصره من صميم الواقع ، وانه ادب غير مقيد بزمان او مكان، وضربت لهم مثلاً لعله لا يخلو من الغلو — فقلت لهم ان العدد من الرسالة او الثقافة الصادر في تموز عام ١٩٣٧ يمكن اصداره نفسه عام ١٩٤٥ دون ان تتأثر موضوعاته ودون ان يشعر القاريء . ذلك ان ادباءنا لا يستمدون مادتهم من هذه الحياة المتجددة كل يوم ، بل كل ساعة ، وانما يكتبون في العام الاول من القنبلة الذرية ما لا يختلف كثيراً عما كتبه ادباؤنا في نهاية القرن التاسع عشر ! .

ولعل خير مقياس تستطيع ان تقيس به قيمة اثر ادبي في اية لغة من اللغات هو ان تحاول ترجمته بصدق وبلاغة الى لغة ثانية فاذا احتفظ بقوته الادبية كان ادباً عالمياً يستحق الحياة . ولو رحنا — على هذا الاساس ننقل الى اللغات الاجنبية ما جادت به اقلام ادبائنا وكتابنا شعراً او نثراً خلال النصف الاول من هذا القرن لما وجدنا مادة خصيبة لهذه المحاولة ، ولرددنا الشيء الصالح الذي قد نعثر عليه الى الاصل الاجنبي الذي اقتبس عنه . .

هذه حقيقة مؤلمة يجب ان نسلم بها ، لا لنقف عندها ونندب ادبنا وادباءنا ، بل لنتبين اسبابها ونعمل على معالجتها فننقذ ادبنا من هذا الركود بالنسبة الى الآداب الاجنبية المتوثبة المتجددة .

يؤيد هذا الرأي حديث جرى منذ ايام بيني وبين الاستاذ فؤاد صروف رئيس تحرير مجلة المختار . فقد اعرب لي بمرارة عن اسفه لانه لم يجد في ما تنتجه اقلام كتابنا ما يصح ان يترجم لينشر بنجاح في الطبعة الاميركية من مجلة المختار وقد عهد الى بعض كتابنا البارزين بكتابة فصول خاصة تليق بالنشر في الطبعات الاجنبية من المختار فلم يكن موفقاً في محاولته لان كاتبنا كسول لا يرى اجهاد نفسه لكتابة بحث عميق وانما يكتفي بهذه النظرات السطحية ينشرها في المجلات والكتب التجارية الرخيصة . . .

نحن نعيش في قحط ادبي لم يسبق لنا ان شاهدنا له مثيلاً في ماضيات ايامنا ، فالشعر في تدهور، وشعراؤنا اصبحوا « كصخرة المتنبي » لا تحركهم هذه الاحاسيس الوطنية وهذه الاحداث الجسام تجري في العالم العربي ! اين ملحمة جامعة الدول العربية؟ اين شعراؤنا يخلدون مهرجان الجلاء عن سوريا؟ اين مأساة فلسطين؟ اين خيبة النصر؟ اين؟ اين؟ رحم الله شوقي فقد كان عالماً وحده ، وكان شعره « الغناء في فرح الشرق وكان العزاء في احزانه !! . »

واما النثر فليس احسن حالاً من الشعر ، فالادب العربي لا يزال محروماً من القصة ؛ وليس ثمت اية بادرة تدعو الى التفاؤل! اتيح لادبائنا ان يرافقوا اعظم حرب في التاريخ فلم توح الى احد منهم أثراً ادبياً واحداً يصور فيه خاطرات نفسه أو مشاهداً صراع القوات الجهنمية ، ماله ولهذا كله ، فليكتب لنا فصلاً في المقارنة بين ابي تمام والمتنبي ، أو فليبحث لنا عن شخصية تاريخية يبعثها من رقادها على ورق مصقول ومجلة انيقة ! .

وقد غلبت على ادبائنا النزعة الصحفية التجارية المادية فاذا بادبهم يتسع سطحاً ولا ينفذ عمقاً ، ويتلاشى موضوعاً ومادة الى مستوى رجل الشارع — ورجل الشارع في البلاد العربية في ادنى درجات السلم الثقافي — فاذا باحمد امين يهجر « فجر الاسلام » « وضحى الاسلام » « وظهر الاسلام » « وعصر الاسلام » ليكتب عن « المودة » في مجلة « الاثنين » مقالاً مزيناً بالصور والرسوم واذا بتوفيق الحكيم يهبط من « برجه العاجي » ويترك فيه « شهر زاد » « واهل الكهف » و « يوميات نائب في الارياف » لينقد شريط « لص بغداد » في مجلة آخر ساعة ، واذا بعباس محمود العقاد يترك ابن الرومي ونتشه والعبقريات ليكتب في كل موضوع — كخادمة المنزل التي تصلح لجميع الغرف — وفي كل صحيفة يومية او اسبوعية ، واذا بطه حسين يترك « الايام » — اروع « قصة حياة » كتبها اديب عربي — و « على هامش السيرة » لينصرف الى السياسة الحزبية وليكتب في جريدة « البلاغ » الوفدية باسماء مستعارة مقالات غامضة يصف فيها خصومه السياسيين وقد مسخهم حيوانات قبيحة .

نحن في مجاعة ادبية ، واية مجاعة اشد وادهى من تلك التي يصبح فيها احمد امين محرر صفحة الازياء والمودة في « الاثنين » وتوفيق الحكيم محرر صفحة السينما في « آخر ساعة » وطه حسين محرر باب الهجو السياسي الحزبي في « البلاغ » وعباس محمود العقاد الكاتب « الخادمة » الصالحة لكل شيء ولجميع الغرف ؟ . . .



بين المدرسة والبيت

بقلم الدكتور نبيه امين فارس

استاذ التاريخ العربي بجامعة بيروت الاميركية

تمتاز السنوات التي يصرفها الطلاب في المدرسة عن غيرها من سني الحياة بوضوح الغاية وانسجام السعي. فمنهم من يؤمها من تلقاء نفسه ومنهم يرسله والداه اليها لطلب العلم ونيل الشهادة. وان انحرف احدهم يوماً عن غايته المفروضة هب المعلم الى تذكيره، وان تقاعس عن بذل قصارى جهده سعيا في سبيلها وجد من علاماته الشهرية ما يستفزه. وهنالك وسائل اخرى للتذكير قد تلجأ اليها المدرسة لحفظ الغاية نصب اعين التلاميذ وحصر جهودهم كلها في تحقيقها . وهي وان اختلفت في مظاهرها تتفق فيما تستهدفه من تزويدهم بما يحتاجون اليه في معترك الحياة . فالحياة المدرسية بقوانينها ونظمها ودروسها والعابها تبتغي توحيد قوى التلاميذ وتنظيم مساعيهم ، اختياراً ان أمكن وقسراً اذا اقتضى الامر.

اما خارج المدرسة فقد تنعدم امامهم الغاية ويتلاشى الانسجام. فسرعان ما يدخلون معترك الحياة حتى تتقاذفهم الاهواء والمذاهب وتتنازعهم الاهداف والغايات ، مع ان حاجتهم العظمى هي غاية واضحة ثابتة توحد قوى أنفسهم وتعطي حياتهم معنى وحقيقة . وقد يصعب عليهم في حياتهم العملية ان يحتفظوا بما اكتسبوه في المدرسة من روح التعاون والنظام . وعندي ان معظم آفات مجتمعنا العربي يعود الى ما ذكرته من فقدان الغاية الواضحة لدى الفرد وعدم مقدرته على التعاون في معاملاته ونقص في استعداده لالتزام النظام في اعماله .

ولنا أن نتساءل : الى اي حد يستطيع الطالب بعد خروجه من المدرسة ان يحتفظ ببعض ما تعوده فيها من نظام وان يستهدف في حياته العملية ، مختاراً ، غاية واضحة معينة لا ينحرف عنها مهما علت امامه امواج المصالح الشخصية وارتفعت في طريقه عقبات التقاليد العائلية وعصفت بشراعه الرياح الصفراء .

على كل طالب ان يجيب على هذا السؤال بنفسه . ويجدر به قبل الاقدام على ذلك ان يتحقق من امرين : ما هي الحياة التي تنتظره خارج المدرسة وما يريد ان يقوم به فيها من الاعمال.

يتخبط العالم اليوم في بحر من الفوضى هائج بامواج الشك والخوف فشلت دماء ضحايا الحرب العالمية الثانية في محاولة تهدئتها كما فشل ساسة العالم ان ينتشلوه من اليم ويقتادوه الى شواطيء السلامة وان نظرة واحدة الى انحاء المعمور تؤكد لنا ان رحى الحرب لم

تقف بعد ، وأن السلم الذي نرتجيه لا يزال بعيداً ، وحمامة نوح لم تجد بعد محطاً على وجه البسيطة . وكيف يستتب سلم أو يسود والخوف مخيم على مشارق الارض ومغاربها والشك مستولٍ على قلوب الناس واليأس يكتنفهم من كل صوب . فمن الناحية المادية ستقضي المجاعة في الشتاء القادم على عشرين مليوناً من الناس في اوربا وحدها وعلى عشرين مليوناً أخرى في الهند وعشرة ملايين في الصين . ومن الناحية السياسية لا نرى الاّ مؤتمرات فاشلة ومشاورات دبلوماسية لا غاية لها الا الاستئثار بالقوة والسلطات والاحتفاظ بالمصالح الاستعمارية تحت ستار الوصايات طورا وتحت ستار المعاهدات طورا آخر واساءة الجوار واكل القوي منهم الضعيف ومن الناحية الروحية لا نلمس الاّ الافلاس والفشل . وقد يقوى الانسان على تحمل هذه واكثر لو تراآى له في الافق بارق امل او رجاء . أما اذا انقطع الامل وتلاشى الرجاء فتنعدم الارادة للحياة.

واليوم يكاد لا يجد الانسان في طول الارض وعرضها أملا يسعى اليه او بارقة رجاء يعيش بها ولها .

واذا حصرنا النظر في الشرق العربي — شرقنا الذي نعيش فيه والذي يجب ان نعيش له — نراه لا يختلف كثيراً من حيث الفوضى التي يتخبط فيها والخوف الذي يستولي عليه واليأس الذي يكتنفه.

زد على ذلك تبلبل الالسنة ، وتضارب الآراء الهدامة ، وفساد الاخلاق الفردية والاجتماعية ، والتكالب على الوظيفة ، وانتشار الرشوة ، واختلاس اموال الشعب ، وفساد الحالة الاقتصادية والعراك القائم بين الشركات المحتكرة والعمال المرهقين ، وتسلط الامية على سواد الامة ، وعدم المبالاة بهذه المشاكل والوقوف منها وقفة المتفرج دون الاقدام على معالجتها ، والتوكل على الاجنبي في حلها ، وتغلغل التعصب الديني في النفوس ، واستعمال الطائفية اداة للسياسة والحكم ، وانعدام الوعي القومي الصحيح ، وقيام الوحدة العربية على الاشخاص والعائلات دون الشعب .

وماذا ينتظر الطالب في بلده وبيته ، بين ذوي القربى والاصدقاء ، والاصحاب والمعارف والاعداء .

سيستقبله ذووه بالترحاب وسيؤهلون به ويقيمون المآدب والحفلات . وسيتوافد اهل البلد للسلام والتهنئة . وما ان تتلاشى اصوات المرحبين وتخمد ، وتهدأ زوايا البيت بأهله ، حتى يرتفع شبح الضجر والملل تتبعه جيوش اليأس والفشل . فيكتشف الطالب انه قد انتقل من عالم الى آخر — من عالم المدرسة الخيالي المملوء بالبشر والآمال الى عالم البيت الواقعي المفعم بالمتاعب والاكدار .

وستكون الصدمة شديدة لانه سيجد تفاوتاً عظيما وتباينا بين المحيط المدرسي الذي تعوده والمحيط البيتي الذي نسيه . فالترتيب الذي يسود المدرسة والنظام والالفة والصداقة وروح الاخذ والعطاء والتعاون — كل هذه ستتلاشى امام اضدادها ، فتحل الفوضى محل الترتيب والنظام ، والمشاحنة محل الالفة ، والعداء محل الصداقة ، والانانية محل روح الاخذ والعطاء والبذل ، والفردية محل التعاون . وسيعجز والداه وذووه ، على محبتهم له ، عن فهمه وسيحاول الاصدقاء ان يصرفوه عن مبادئه ومثله العليا بحجة السهر على مصالحه وستسخر به فئة وستهزأ به اخرى .

فالتفاوت بين المحيط المدرسي الذي الفه الطالب والمحيط البيتي الذي يعود اليه هو الواقع الحقيقي الذي يجابهه . وارجو ان يكون الواقع الحقيقي سيستفزه .

امام الطالب لقاء هذا التفاوت ثلاثة سبل للعمل — لا بل سبيلان للعمل وثالث للسكينة . له ألاّ يبالي بهذه المشكلة وان يتعامى عنها وينكر وجودها فلا يصغي الى ما تناديه اليه ويعود بالتدريج الى عيشة القناعة والاتباع يجاري الواقع مهما كان فاسداً ، مثله في ذلك مثل الروح النجس عندما يخرج من الانسان « يجتاز في اماكن فيها ماء يطلب راحة ، واذ لا يجد يقول : اعود الى بيتي الذي خرجت منه . فيأتي ويجده مكنوساً مزيناً . ثم يذهب ويأخذ سبعة ارواح أخر أشرّ منه فتدخل وتسكن هناك . فتصير اواخر ذلك الانسان أشر من اوائله . » وهذا هو السبيل الذي يتبعه اكثرية الشباب عند خروجهم من المدرسة وعودتهم الى بيوتهم . فتذهب السنوات التي قضوها في التعليم سدى ، وتضيع جهودهم التي بذلوها بلا جدوى ، وتفقد الاموال التي صرفها آباؤهم عليهم بدون فائدة . أما ما علقه عليهم الوطن من آمال فمصيره مصير ندائف الثلج على وجه المياه — تكاد لا تسقط على اليم حتى تذوب وتصبح أثراً بعد عين .

وللطالب ان يخرج على المحيط البيتي ويثور على التقاليد العائلية والاجتماعية التي ستفرض عليه . ولن تتعدى قيمة عمله هذا سوى ارضاء ضميره وصرف ذويه عن ارسال غيره من ابنائهم الى المدارس لئلا يقتفوا اثره ويخرجوا على التقاليد المستقرة والعادات المتبعة . وانا افضل هذا السبيل على سبيل القناعة والاتباع لانه يمثل عملا ما ، والعمل خير من السكينة والركود.

اما السبيل الثالث المفتوح امام الطالب فهو اصعب السبل واوعرها ، وهو ايضا اعظمها فائدة ونفعا . وهو يتطلب منه ان

يكيف محيطه البيتي حتى يتفق مع محيطه المدرسي المثالي ويتلاشى التفاوت بينهما .

واجب الطالب الاول اذاً ان يوفق بين "المحيطين" — محيط المدرسة ومحيط البيت — وان يكيف الواقع حتى يستوي مع المثال . هذه هي الغاية التي يجب ان يضعها نصب عينيه لتكون له هدفا بدل الهدف المؤقت الذي رسم له في المدرسة . وهذه هي الغاية التي ستعطي حياته معنى وحقيقة . فهل يستطيع الطالب العربي ياترى ان يسعى نحو هذه الغاية بمثل الجد الذي بذل في سعيه نحو غايته المدرسية ، وبمثل النظام الذي اتبع في سبيلها ، وبمثل روح الاخذ والعطاء والتعاون التي سار عليها في اثناء وجوده في المدرسة .

من الطلاب من سيتابع دراسته فيؤجل يوم الحساب سنوات قليلة . لان التفاوت بين المحيط البيتي يعترض خريجي الكليات والجامعات كما يعترض خريجي المدارس الثانوية والتوجيهية . ومنهم من سيدخل معترك الحياة على الفور . وسيكتشف حال دخوله هذا ان كثيرا من الامور التي تعودها في المدرسة ستمنع عنه على الارجح ، وان عددا من الحريات التي تمتع بها في اثناء سنوات العمل المدرسية ستنتزع منه . وسيفرض عليه محيطه الجديد قيودا لم تكن في الحسبان وسيقيم امامه عقبات لم تخطر له على بال . وستمتحن نتائج السنوات التي قضاها في المدرسة وتقاس بقدرته على تكييف نفسه في وسط هذه الظروف بدون معاداة محيطه ان امكن ، وفي الوقت نفسه بدون التخلي عن مبادئه المكتسبة في المدرسة او الانحراف عنها مهما تعاظمت التجارب واشتدت المحن .

ان البلاد العربية تعلق آمالها على النشء الجديد لا على الآباء . وماذا اقول عن الآباء سوى ما قاله الامام علي (معكوسا) من انهم خلقوا لجيل غير الجيل الذي خلق ابناؤهم له . والجيل القديم والجيل الجديد يدان كل منهما على السواء باعماله . واعمال الجيل القديم واضحة . ففي السياسة والحكم اعادوا لنا عهد عثمان بن عفان مع ان حاجتنا الى عهد الفاروق اشد ، واتبعوا خطته في اسناد الوظائف واستبدلوا بالكفاءة المحسوبية والقربى . وفي التجارة اعادوا لنا عهد امير حلب في ايام ابن حوقل[1]

هذه سنة الجلاء في الاقطار العربية . وانا اهنيء العرب بسنة الفتح هذه وآمل ان تنتهي السنة حتى يتم الجلاء العسكري عن آخر شبر من البلاد . وآمل ايضا ان يتبع هذا الجلاء جلاء آخر — جلاء الجيل القديم المدان باعماله — فيفسح المجال للجيل الجديد — محط آمال العرب .

ان مشكلة التفاوت والتباين بين محيط المدرسة المثالي ومحيط البيت الواقعي مشكلة ملموسة تعترض سبيل كل طالب عائد الى بيته وبلده . وهي تتطلب حلا ناجعا عاجلا . وعلى كل طالب ان يجابه هذه المشكلة بالهمة والنشاط اللذين جابه بهما مشاكله في ايام دراسته وبالنظام والترتيب اللذين اتبعهما في القيام بواجباته اليوميه في اثنائها . وباعمالنا ندان .

نبيه امين فارس

(١) راجع ابن حوقل — «كتاب صورة الارض» (ليدن ١٩٣٨) جزء ١ ص ١٧٧—١٧٨ حيث يقول : — «اذا وردها متاع من خسيس ونفيس اشتراه من جالبها وباعه هو لاهلها على اقبح صورة واخس جهة وا يستئثار بها من خل وصابون فهو يعمله ويبيعه وليس بها مبيع ولا مشترى الا وله فيها مدخل قبيح» .



قلب ابيلارد

بقلم الدكتور عبد الرحمن بدوي

مدرس الفلسفة بجامعة فؤاد الاول

البيعة الخالدة تمتد بابراجها السامية ذات الاقواس القوطية في سماء مدينة النور ، باريس ، التي كانت تلقب آنذاك – ولا تزال حتى اليوم – بهذا اللقب العبري « قريت سفر » ، اي قرية الاسفار والكتب ، اعني مدينة الاداب . وفي ظلالها بيت صغير يقع في زقاق من تلك الازقة التي تطـل نوافذها الضيقة على الامكنة الحرة الفسيحة الطلقة في رصفة لاجرف ومرفأ سان لاندرى ، بيت يعبق ببخور الدين ممثـلًا في شخص الكاهن القانوني فولبير ، ويبدد من ظلمته المادية نور روحي يتجلى فيمن دعاها ابنة اخيه وكانت الالسن الحداد تنوش هذه النسبة الى حد جعل بعضها يذهب الى انها ليست الا ابنة له غير شرعية والبعض الاخر يوغل في الارجاف بالافك فيصور الصلة بينهما تصويراً يعصب رأسه بالعار .

وهلويزا فتاة في السابعة عشرة قد لا تغترق الابصار بجمالها . فقد كانت سمراء ضامرة الوشاح – ولكنها تأسر محدثها بسعة ثقافتها وحدة ذكائها وما يتبدى على سيماها من انفة يمازجها الكثير من الحمـاسة وتدفق العواطف . كيف لا ، وقد كانت تتقن اللاتينية وتكتب بها باسلوب يتجلى فيه روح سينكا – وقد كان النموذج الذي تأثرته ، كما كانت تلم بقدر من اليونانية والعبرية يكفيها لفهم ما يرد بهاتين اللغتين في كتب اللاهوت من عبارات واقتباسات . وقضت سني نشأتها الاولى في دير ارجنتي فاظهرت ذكاء خارقاً جعل عمها يتولى بنفسه تثقيفها الى ان فرغ ما لديه فوضعها بين ايدي الممتازين من المثقفين في ذلك العصر ، والفتاة من جانبها كانت طلعة تنفق اوقاتها على طلب العلم وكانها ستخلى له ذرعها طوال محياها ، فكانت تسعى الى مجالس العلماء محاولة الظفر باكبر قسط منه مستطاع .

وكان في باريس فتى بريتوني استحار شبابه – فقـد بلغ التاسعة والثلاثين – وعلى الرغم من هذا فقد كان سيد العلماء غير منازع : دوت شهرته في مسامع اوربا ، فصار قبلة الجميع من طلاب العلم ، لم يعقهم عائق من بعد المكان ولا عمق الاوداء ولا ارتفاع الاجبال ولا خوف اللصوص ولا البحار والعواصف . لقد كانت فرنسـا وبريتاني ونورماندي وبواتي وجسقوني واسبانيا وانكلترا والفلاندر والتيوتون والسويديون يشيدون بعبقريته » كما قال فولك في رسالة بعث بها الى ابيلارد نفسه . وهي شهرة لا ترجع الى علو كعبه في العلم او سمو فكره في الفلسفة بقدر ما تعود الى مهارته الفائقة في الجدل . والناس من قديم الزمان يكلفون بالخصومة الروحية كلفهم بالخصومة المادية . ومن كان

ابرع من ابيلارد في هذا الميدان! حقاً لقد ورث عن اسرته مهنة السيف، واذا كان، كما قال هو، قد هجر ساحة المريخ نهائياً لائذاً بحضن ميترفا» اي غادر ساحة القتال الى رواق الحكمة — فانه في هذا المكان الجديد قد ظل وفيا لروح الاله الذي كفر به، فادخلها معبد الاله الجديد الذي آمن به الان، ففي ميدان الفلسفة الفسيح لم يفضل الا المنطق والقسم الجدلي منه بنوع خاص «مستبدلا باسلحة الحرب اسلحة المنطق ومضحيا بغنائم المعارك في سبيل هجيات النقاش والجدال» (الرسالة الاولى من رسائله وقد بعث بها الى صديق مجهول، وفيها عرض كامل لمجرى حياته وتطوره الروحي). فاستقرى دقائق هـذا العلم حتى اصبح فيه نسيج وحده، حريصاً اشد الحرص على المران العملي في الجدل، ناشداً المناظرة عند ائمة العصر وعلى رأسهم جيوم دي شانبو الذي تتلمذ عليه ولكن ابيلارد سرعان ما ثار على هـذا الاستاذ خفيا بتفنيد آرائه منذ البداية حتى، انتصر عليه في كثير من المواقف مما احنق جيوم هو ونفراً من تلاميذه الذين رأوا في هـذا الفتى المتمرد منافسا خطيراً جداً على الرغم من انه كان احدثهم سنا وتلمذاً. فاضطر ابيلارد الى مفارقتهم، كما ان ثقته بنفسه وقواه قد دفعته من ناحية اخرى الى ان يطمح في طلب المجد فينشىء هو الآخر مدرسة يكون رئيسا لها. وفعلا اقامها في ملان (على بعد ٤٠ كيلو متراً من باريس ناحية الجنوب الشرقي) ومنذ اللحظة الاولى ظفر بنجاح هائل طغى على مكانة اترابه من تلاميذ جيوم، مما دعاه الى الاقتراب شيئا فشيئا من باريس حتى «يتمكن اكثر واكثر من تكثير الغزوات» فنقل مدرسته الى كوربي (على بعد ٣٠ ك من باريس). بيد ان هذا النضال الشاق مالبث ان اثر في بدنه، فاصيب بكلال حمله على ترك التدريس والعودة الى اهله في بريتاني حيث بقي قرابة عامين عاد بعدهما موفور النشاط متأهبا لغزو جديد شأنه شأن آخيل. وكان استاذه وخصمه الاول جيوم قد صار اسقفا لشالون وفتح مدرسة كان يدرس فيها مذهبه في مشكلة الكليات، اعني المذهب الواقعي الذي يقول ان كليات — الاجناس والانواع — ذات وجود حقيقي، وليست مجرد املاء او تصورات ذهنية فحسب فذهب اليه صاحبنا من اجل دراسة الخطابة في الظاهر، ولمهاجمته من جديد في واقع الامر وما لبث ان حمل عليه ممثلا لهذا المذهب حملة شعواء اضطر معها جيوم — فيما يزعم ابيلارد — الى تعديل مذهبه اولا ثم العدول عنه نهائيا من بعد. ولقد كان هذا بمثابة محنة شديدة اصابت جيوم، فلم ينهض منهـا ابداً، واذا باخلص اتباعه يهجرونه ويهرعون الى خصمه أبيلارد، بل ان من خلف جيوم على كرسيه في التدريس قدجاء الى ابيلارد طائعا مختاراً يسلم اليه هذا الكرسي فياله من نصر باهر كلل جبين أبيلارد بانضر اكاليل الغار!

بيد ان خصمه لم يسلم له تمام التسليم، انما حرص جهده على الافتنان في اساليب الانتصار على هذا التلميذ العجيب. لكن هيهات! هيهات! فالتلميذ يسير من نصر مؤزر الى نصر. فما كان من جيوم الا ان ارتحل هو واتباعه ومدرسته الى منطقة ريفية تبعد شيئا عن باريس. هنالك عاد ابيلارد وكان قد فتح مدرسة في ملان مرة اخرى، فوجد ان جيوم قد خلف وراءه في العاصمة منافسا لابيلارد، «فذهبت أعسكر خارج المدينة، على جبل سانت جنفييف، كما اضرب حصاراً حول من اغتصب مكاني وما سمع جيوم بهذا النبأ حتى عاد نافد الصبر الى باريس، خالعا عذار الحياء، وفي صحبته من تبقى له بعـد من تلاميذ واتباع قلائل كانوا له في ديره القديم، كما ينقذ الحامية التي تركها» (الرسالة الاولى). وقامت المعركة حامية — المعركة العلمية طبعا — بين النجدة وبين القائم بالحصار، وسرعان ما انتهت كما انتهت اخوات لها من قبل — اعني بالنصر المبين لابيلارد.

وحسب القارىء هذه الحرب الضروس التي شنها ابيلارد على استاذه جيوم دي شنبو، والتي تكشف لنا بكل جلاء عن طبيعة هذا المناضل الجبار الذي تمثل الامور دائما على نحو حربي، حتى انه في روايته لهذه الاحداث لا يستخدم في التعبير غير لغة المعارك والحروب، ولم يكن هذا من باب البيان والزخرف الانشائي، بل هو يعبر تماما عن تصوره الحقيقي للموقف كله. ولندعه يرسل الغارة تلو الغارة على اساطين العلم في ذلك العصر، مستخدما نفس الخطة في الكر والفر (التكتيك)، اعني ان يتظاهر بالتلمذ اولا ثم يشن الغارة في قلب ارض العدو نفسها، اي في مدرسته وما اشبه خطته هذه بخطـة جنود المظلات الذين يحاولون غزو البلاد من القلب لا من الحدود!

أجل، لندع قعقعة السلاح وغبار المعارك كيما نشهد هـذا البطل البالغ اوج الانتصار يخر صريعا بسهم رشيق اطلقه كيوبيد من قوسه. اما صاحبة السهم فكانت هاويزا التي قدمنـا لك صورتها بين يدي هذا الفصل، فعرفناها فتاة تطمح نفسها الى تفرع ذروة العلم، ونشدان الثقافة الممتازة عند ثقاته واثباته. وفتاة هذا شأنها كيف لا ترنو ببصرها الى ابيلارد؟

كل ما فيه يغريها به ؟ وكل ما فيها يغريه بها .

الم يكن فتنة الشباب من اهل العلم يؤمونه من كل الاصقاع والبقاع في القارة وما اليها ، كلهم معجب متحمس يكلف بدروسه كلفا شديدا لا يعدل به الشباب شيئا مما تغريهم به متع الحياة وهم في فتاء السن ، حتى كانت دروسه دائما اشبه بمظاهرة حارة ، فكانت تنتهي بهتافات عالية تقول : « ليحي الاستاذ بطرس ! ليحي ابيلارد ! » ألم يكن دائما مناظراً ظافراً يدخل خصومه في اقماع السمسم كما قيل عن الاشعري ، فما انتدب له انسان الا رده ابيلارد صاغراً معتقل اللسان ؟ ألم يكن يعود دائما الى بيته في موكب رائع من المريدين والاتباع المخلصين ترمقه عيون الجميع ألم يكن في تمام نضوج شبابه ، واسع الجبين غزير الشعر المسترسل حتى عنقه ، جليل الوجه ، فاتن العينين ، فارع القوام ، وقور الحركة ، سابغ المسوح — فمن اقدر منه على اثارة الاعجاب في نفس هذه الفتاة الجادة حديثة العهد بالدير الذي نشئت فيه ؟

وهي ، الم تكن واسعة الافاق ، معروفة من الجميع باقبالها على التحصيل وبسطتها في العلم وما كان يسود مجلسها من حكمة وفطانة ؟ والى جانب هذا — وفي مقابله — ألم تكن تامة الانوثة مشبوبة العواطف العميقة ، لايزدهيها شيء من علو كعبها في الثقافة انما كانت ترتفع بها الى مرتبة رفيعـــة من النبل اللطيف والدقة الانيقة ، فتجمع الى جلال العقل سمو الروح وعراقة الاخلاق ؟ لم تكن جميلة حقا ، ولكنها استعاضت عن الجمال في البدن بهذا الجمال الروحي الذي زاد من شأنه في ذلك العصر ندرة المثقفات .

استمع اليه اذن يقص بدء غرامه : « لما ان رأيتها مزدانة بكل ما يغري العشاق من مفاتن ، فكرت في ان اكون على صلة بها ، وخيل الي انه لا شيء ايسر عندي من النجاح في هذا المضمار فلقد كان لي من سعة الشهرة وفتنة الشباب والجمال ما جعاني اعتقد انني بمنأى عن مخافة اي رفض ، مهما يكن من مكانة المرأة التي سأشرفها بغرامي . كذلك آمنت بان الفتاة ستكون احرص على تحقيق رغباتي بقدر ماهي مثقفة مولعة بالتعلم » (رسالة الى صديق) وقد يكون في لهجته ههنا من التعالي ما يدعو الى النفرة ، ولكنه هو التعالي المعهود في رجال الفكر وبخاصة من استطارت شهرتهم في الافاق ، فلنتغاض عنه ولنغتفر له ما في مغـــامرته .

كانت الفتاة تحضر مجلسه وكلها آذان صاغية لكل كلمة بل نبرة يهدر بها لسانه الفصيح ، وليس من شك في ان اعجابها لم يكن يصدر عن دقة فهم لما يقول بقدر ما كان عن تحمس حار سخي لشخص هذا الفتى الرائع مصوراً في حماسة اتباعه ومريديه ولم يكن ينتظر منها اكثر من هذا ، مهما يكن من سموها العقلي لان المرأة عامة لاتستطيع ان تعجب بفكرة مجردة او كائن معنوي الا اذا مزج كيانه الروحي بما هو عيني محسوس . وليس من شك كذلك في ان اعجابه بها لم يكن صادراً عن دواع عقلية خالصة فالمشاهد دائما في حياة اهل الفكر والفن ، وبخاصة اصحاب الفكر المجرد الجاف ، انهم لا يميلون الى المثقفات ثقافة رفيعة ، لان هذا كثيراً ما يخرجهم عن البساطة والطبيعية اللتين ينشدهما هؤلاء في المرأة . وما اصدق قول رينان في هذا الصدد : « كلما كان المرء أنمى عقلًا ازداد حلما بالقطب المضاد ، اعني باللامعقول ، بالاخلاد الى الجهل الكامل ، بالمرأة التي ليست إلا امرأة فحسب ، بالكائن الغريزي الذي لا يصدر في افعاله الا عن دافع من شعور غامض . . . فالمخ الذي احترق بطول البرهان في تعطش الى البساطة ، مثله كمثل الصحراء في تعطش الى الماء الصافي . وحينما يقتادنا التفكير الى آخر حدود الشك ، نشعر بأن ما في الشعور النسوي من توكيد تلقـائي للخير والجمال يفتننا ويقدم لنا حل الاشكال . . . والمرأة الجميلة الفاضلة هي بمثابة السراب الذي يملأ صحراءنا المعنوية بالبحيرات ومخارق الصفصاف . . . اجل ان المرأة تصل بيننا وبين الينبوع الخالد الذي يتجلى فيه وجه الله » (ذكريات الطفولة والشباب ، من ١٢ — ١٣ طبعة نلسن ١٩٣٦) .

لذا يلوح ان الالفة وسهولة الظفر بالمراد كانا السببين الرئيسيين اللذين حملا ابيلارد على اختيار هلويزا من بين جميع فتيات باريس اما الالفة فمن حضورها دروسه ومجالسه ، ونحن نعلم انها تفعل اكثر مما تفعل المميزات الجسمية او الروحية ، وفي تاريخ حياه العشـــاق المشهورين أصدق شاهد على ما نقول ، وبخاصة اذا كانوا من اهل الفكر ، لان هؤلاء يملكهم من الغرور والثقة بالنفس ما يصرفهم عن السعي وراء الظفر بخير النساء ، مما يجعلهم فريسة ميسورة لاية امراة تأتي من عرض الطريق ، بشرط ان تتقدم هي بنفسها ، ففي هذا الابتداء من جانبهـــا ما يرضي ذلك الغرور الذي اشرنا اليه ، لانه يشعر أولئك المفكرين واهل الفن بأنهم مرموقون ، يقدرهم الجنس الآخر ، وهذا يتملق كبرياءهم الى حد بعيد ، وكل هـــذا بشرط ان تتظاهر جديا بأنها لم تقبل اليه طمعاً في تحقيق مـــآرب : من زواج او تظاهر بمعرفة المشهورين بل اقبلت عليه معجبة ، مقدرة لمواهبه ومريدة تريدان تحشر نفسها في زمرة اتباعه المخلصين

وهلويزا كانت من الفطنة بحيث أمكنها التنبه الى هـــذه الملاحظة :

فتبدت في مظهر المريدة المخلصة لوجه الفكر وابيلارد الفيلسوف ، لاتريد من وراء هذا جزاء ولا شكورا ونحن من جانبنا لا نريد ان يذهب بنا سوء الظن بطبيعة هذه الفتاة الى حد الزعم بان هذا الذي كان منها لم يكن الا تظاهراً وهمياً ومهارة في المناورة واتقان الخطة لاصطياد الفريسة ، اجل ، قد يكون هذا من بين دوافعها اللاشعورية الخفية ، ولكنا لانستطيع ترجيح هذا التأويل لان مسلكها من بعد على نحو ما سنعرف عما قليل يكاد يقضي على هذه المظنة ، فقد ابت ان تبوح بسر زواجهما ، وكانا قد تعاهدا على هذا الكتمان هما وعمها ونفر من اهلها ، بيد ان هؤلاء لم يحفظوا هذا العهد . اما هي فلم تشأ اولا ان يتم هـذا الزواج الذي أرغم عليه ابيلارد ، لانه سيجر العار على ابيلارد لماسيعلم من ظروفه ، ففضلًا عن انه سيعوقه عن سبيل الرقي في مراتب الكهنوت «وتساءلت اي مجد يمكن الظفر به من زواج سيحطم صرح شهرتي وينزل من قدري ، قدري انا او قدرها هي ايضاً . ثم اية كفارة فادحة سيكون من حق العـالم أن يتقاضاها منها ، لو انها سلبته هذا النبراس ! وكاين من لعنات ستصب على رأسها ! وما افدح الضرر الذي يصيب الكنيسة من وراء هذا الزواج ! وكم من عبرات سيحمل الفلسفة على تذرافهـا ! وكم سيكون من غير الملائم ومن المحزن أن يرى الناس رجلا خلقته الطبيعة للعالم باسره وقد استعبدته امرأة واخضعته لنير يحطه الناس بالعار !» («رسالة الى صديق») . وراحت تصور له — فيما يروي ابيلارد ولنا ان نصدقه في هذا الى حد غير قليل — ما يجره عليه هـذا الزواج من مضار ومتاعب مستشهدة — على عادتهـا بحكم سعة اطلاعها — بآيات من الانجيل واقوال كبار الآباء والشواهد من تاريخ اهل الفكر مثـل ثيوفرسطس وشيشرون الذي اوزعه هركيوس بالزواج من اخته بعد طلاقه من تيرنتيا ، فابى شيشرون بكل قوة قائلا انه لايستطيع ان يوزع عنايته بين الزوج والفلسفة وهو لا يريد ان يفعل شيئاً يمكن ان يستعيض به عن الفلسفة ، ومضت تؤيد قولها بالبينات النواصع والبراهين السواطع ، مثبتة ان الزواج محنة كبرى على اهل الفكر .

فاذا كان صحيحاً ما يرويه ابيلارد في هذا الباب على لسانها وليس ثمت ما يدعونا الى تكذيبه في مضمونه العام على الاقل ، وان لم تكن هي عبارات هلويزا نفسها ولم تتوسع في رأيها على هذا النحو الرائع — فان هذا لينفي عنها مظنة سوء الدافع وافتقاد المنفعة المادية من وراء تعلقها بابيلارد ، فليس لاحد اذاً ان يتجرم عليها في هذا الصدد شيئا .

ثم انضاف الى عامل الالفة هذا عامل سهولة الصيد . فالفتاة لم تكن من الجمال بحيث تطمح نفسها الى ما فوق مكانة ابيلارد بل بالعكس : لقد كان مثله منتهى املها والغـاية التي ليس لناظرها مطمح وراءها ، ولم يكن لهـا من المكانة الاجتماعية ما يوجهها ناحية اخرى غير ناحية امثال ابيلارد ، فان الفتاة التي لا مال عندها تهديه ولا جمال ، بل كل مؤهلاتها هي الثقـافة ورجاحة العقل لا تستطيع ان تجد ما يشبع رغبة الوجاهة العامة الا في ذوي المكانة من اهل الفكر ، لانهم اقدر على تقديرها .

فليس بعجيب اذن ان ترتمي امثالها تحت اقدام ابيلارد ، وهذا هو الذي حدث فعلا من جانب هلويزا نحو ابيلارد ، وان كان غروره الفكري قد حمله على الاعتداد بنفسه في هذا الباب الى حد الزعم بان مكانته الفكرية مضافة الى وسامته وشبابه كفيلة بان تلقي أية امرأة — مهما تكن مكانتها — صرعى غرامه ، — وهو في هذا واهم كل الوهم ، ولعل من اسباب هذا الوهم ما حدث له من ناحية هلويزا ، وقد كان قليل من التفكير خليقـاً بان يرده الى التفسير الصحيح . لكن هيهات ان تزايل الانسان اوهامه في هذا الباب ، حتى لو كان اعقل المفكرين !

عبد الرحمن بدوي

القاهرة

بـردى

نهر دمشق «... ويا ملهمي اذا قلت شعرا»

☆

بردى المشتهى يفكر شعرا وهو يحيا لحناً وينساب عطرا
في حنـاياه اضلع تتنـاجى وقلوب من حرقـة الحب حرى
خبر العالمين جيلًا فجيلًا ووعى الكائنات دهراً فدهرا
خط في مصحف الوجود سطوراً باقيات تختال تيهاً وكبرا
معجبات انقى من الفن لألا ء وابهى من سطوة العلم فكرا
يتلوى زهواً كراقصة الـا ن تنزّى وجداً وتقطر سُكرا
امر في الارض كالربيع ائتلافاً وكأيامـه صفـاء وبشر
وكسـا جلّق الحبيبـةَ ثوبا عبقرياً من نعمة الفجر اطرى

***

أيهذا النهر الحبيب الى نفـ سي ويا ملهمي اذا قلت شعرا
عش بقلبي لحنا على الدهر حلواً واسر في خاطري فتوناً وسحرا

دمشق — انور العطار

عرب الشمال

بقلم الدكتور خليل يحيى نامي

مدرس اللغات السامية بجامعة فؤاد الاول

☆

تدل الآثار التي وجدت في شمال بلاد العرب على مراحل مختلفة لطرق التجارة العربية التي كانت تسير من مكة والمدينة الى شمال بلاد العرب ودمشق ، ومنها تتجه القوافل التجارية اما الى تدمر فبابل ، واما الى آسيا الصغرى فاوروبا ، كما تدل الخرائب الموجودة في العلا والحجر (مدائن صالح) وبطرا وبصرى ، والخربشات التي وجدت في شبه جزيرة سيناء بالقرب من الصحراء السورية على ان هذه البلاد والاماكن كانت من اكبر مراكز القوافل التجارية ، ومنها انتشرت الحروف الابجدية في كل بلاد العرب .

والآثار العربية الشمالية عقيمة وبعضها مشتت في قفار غير مطروقة وغير مأهولة ، وقد نشأت من شعوب كثيرة وحكومات مختلفة وذلك لان عرب الشمال لم يتحدوا ولم يكوّنوا لهم وحدة سياسية تجمع شملهم قبل الاسلام كعرب الجنوب ، وقد سبب هذا الانحلال والتفرق اختلافات محلية نجدها في هذا الآثار .

وتأثر اولئك العرب بالحضارة السامية الشمالية وخصوصاً الارمية لانهم كانوا يرحلون من اراضيهم المقفرة الى الشمال للتجارة او طلباً للرزق فيشتغلون مزارعين في هذه الاماكن الخصبة او حراساً في هذه الحكومات المتحضرة المستقرة . وتخبرنا الوثائق الارمية القديمة التي وجدت في تيماء شمال غربي بلاد العرب انه كانت في تلك الارجاء في القرن الخامس قبل الميلاد وكالة تجارية ارمية .

كذلك الآثار النبطية الكثيرة التي كتبت قبل الميلاد وبعده والتي وجدت في شمال غربي بلاد العرب وشبه جزيرة سيناء وحوران تدل على ان اصحاب هذه الكتابات كانوا من العرب الذين تأثروا بالارميين فاخذوا منهم الكتابة واللغة والفن الارمي .

وكان العرب الجنوبيون والنبط ينقلون بطريق القوافل البضائع الهندية الفاخرة والمنتجات والمحصولات العربية الجنوبية الى مكة والمدينة ومعان ودمشق وآسيا الصغرى وشعوب البحر الابيض المتوسط ، وقد اقامت الحكومات العربية الجنوبية والحكومات الاخرى القوية مستعمرات او مراكز حربية في شمال بلاد العرب لتؤمن طرق هذه القوافل ، فأسس العرب الجنوبيون بيوتا ومعابد ونشروا حضارتهم ولغتهم وخطهم المسند في شمال بلاد العرب .

وبتحليل الكتابات التي وجدت في شمال بلاد العرب نجد نوعين من الكتابة :

(١) — قسم ارمي (سامي شمالي) وهو يشمل الكتابات الارمية التي وجدت في تيماء ، والكتابات النبطية والسينائية الحديثة .

والكتابات النبطية الحديثة كتبها النبط وهم قبائل عربية اسست في القرون الاخيرة السابقة على ميلاد المسيح مملكة على انقاض المملكة الادومية في شمال بلاد العرب وجنوب فلسطين وبلاد الشام ، وكانت حاضرتهم الشمالية سلع (بطرا) وقصبتهم الجنوبية الحجر وهي معروفة الان باسم مدائن صالح . وفي سنة ١٠٦ م ضمت المملكة النبطية الى المملكة الرومانية فهاجر النبط الاحرار الى داخل بلادهم العربية الحرة — في الحجاز ونجد والاطراف العربية البعيدة ليعيشوا في ظل الحرية والاستقلال .

ومن الكتابات النبطية نشأ الخط العربي كما يظهر من نقش النمارة ونقشي زبد وحران .

وكان اله النبط الرئيسي ذو الشرى وهو اله الخصب والعنب والخمر ، كما كانوا يعبدون ايضا مناة واللات وقيساء وشيع القوم وهو حامي الشعب واله القوافل ، كما كانوا يعرفون ايضا الله كما يظهر من اسمائهم المركبة .

(٢) — قسم عربي جنوبي ويشمل اربعة انواع من الكتابات وهي :

أ — النقوش المعينية الشمالية وقد وجدت في العلا ومدائن صالح وهي نقوش مستعمرة معينية شمالية كانت تعرف باسم معين موصران كما تخبرنا بذلك النقوش المعينية، وتبين من دراسة هذه الاثار ان المعينين الشماليين كانوا يكتبون بنفس الخط واللغة التي كان يكتبها المعينيون الجوبيون الذين كانوا يسكنون في جوف بلاد اليمن كما كان المعينيون الشماليون يدينون ايضا بآلهتهم مثل ود ونكرح وغيرهما من آلهة المعينيين .

ويرجع تاريخ هذه الكتابات من منتصف الالف الاول قبل الميلاد حتى سنة ٢٠٠ قبل الميلاد ويقول استاذي الفاضل ليتمان في محاضراته التي القاها في الجامعة المصرية سنة ١٩٣٠ : ان اهل الجزيرة الشمالية تعلموا الخط المسند من اهل معين الذين كانوا يكتبون كتاباتهم بلغتهم وخطهم في العلا وفي مدائن صالح ، ثم ملك على العلا وعلى البلاد المجاورة لها ملوك وطنيون اي من بني لحيان فكتبوا لغتهم بالمسند المسمي باللحياني ، وبعدهم جاء النبط مستعملين الخط واللغه الارمية . واما الثمودي فبقى مستعملا عند العرب في ذلك الوقت نفسه ولكن لا نعرف هل كان يستعمل ايضا في وقت ملوك لحيان ام لا ، واني (اي الاستاذ ليتمان) اظن ان الثمودي قد اشتق من اللحياني ومنه اي من الثمودي اشتق الصفوي .

ب — اللحيانية : وجدت الكتابات اللحيانية في العلا وضواحيها وقد كتبها شعب او قبيلة لحيان ، ويذكر في اغلب الاحيان ملكهم في النقوش . وقد وجد من هذه الكتابات ما يقرب من ٤٠٠ كتابة اكثرها خربشات صغيرة والباقي قطع صغيرة مكسرة وجدت مبنية في بيوت العلا واسوار حدائقها ، ووجد الباحثون صعوبات كبيرة في حلها وتفسيرها خصوصا وان فيها كلمات واصطلاحات مبهمة ، وقد ترجم المستشرقون بعض الجمل وقرأوا بعض اسماء الالهة واسماء الاشخاص . وهي لهجة عربية فيها بعض خصائص اللغة العربية الفصحى ، ويختلف الباحثون في تاريخ المملكة اللحيانية فيقول بعضهم بانها كانت في القرنين السادس والخامس قبل الميلاد ، ويقول البعض الاخر ومنهم ليتمان بانها كانت في القرنين الثالث والثاني قبل الميلاد ويستدون في ذلك على تفسير اسم ملك من ملوك لحيان يدعى تلمي حيث يظنون بانه ترخيم بطليموس وقد حذفت منه الباء ومقطعه النهائي ، وقد اخذوه من البطالمة ملوك مصر ويرى البعض الاخر بانها كانت بعد الميلاد .

وكان الههم الرئيسي يسمى ذوغبت كما كانوا يعبدون ايضا ود اله المعينيين وسمع الاله العربي الجنوبي ، واللات والعزى وعوص والاه ، ويهوه اله اليهود .

ج — الثمودية : ووجدت اغلب الكتابات الثمودية في الحجر (مدائن صالح) وقد اطلق المستشرقون عليها اسم النقوش الثمودية نسبة الى ثمود المذكورة في القرآن الكريم لانها كانت تسكن في تلك الناحية (سورة الاعراف آية ٧٣ — ٧٨ ، سورة هود آية ٦١ — ٦٨ ، سورة الحجر آية ٧٩ — ٨٤ ، الشعراء آية ١٤١ — ١٥٨ ، الفجر آية ٩ .

ونعرف من هذه الآيات ان سيدنا صالح هو النبي المرسل الى ثمود اهل الحجر لذلك سميت الحجر بمدائن صالح . وقد وجدت ايضا كتابات ثمودية في نجد وفي بلاد مدين ، كما وجد هاليفي بعض الخربشات الثمودية في حجر المعقاب بجبل حايل بالحجرية ببلاد اليمن ، وقد نسخت ايضاً هذه الخربشات البعثة المصرية التي سافرت الى بلاد اليمن في سنة ١٩٣٦ . كما عثر في تلك السنة دكتور حزين رئيس البعثة المصرية على بعض الخربشات الثمودية في بلاد حضرموت .

وقد نسخ ونشر من هذه الكتابات ما يقرب من ٢٠٠٠ كتابة عثر عليها مكتوبة على الجبال او على صخر كبير وهي عبارة عن كتابات اثرية للذكرى كتبها الرعاة المتجولون او رجال القوافل في اوقات فراغهم .

واكثر اسماء الالهة تداولا في هذه الكتابات هي ال، والاه، الات ، ورضى او رضاء ، كما نجد في خربشاتهم اسم الالهه كهل = الكهل وهو في المعينية كهلان ، مناة وهو اله نبطي، وسواع، والشمس ، هلمي = الهي = الله ، وهملك = الملك وغيره من الالهة الاخرى .

البقية على صفحة ٧٦

بين الادب والقومية

بقلم عبد اللطيف شرارة

☆

لا تزال « القومية » كفكرة موضع جدل بين مختلف الباحثين والمفكرين في جميع انحاء العالم، ولا تزال ايضاً ذات طبيعة سلبية، فلم تصل بعد الى شكلها الامثل الذي يطمئن اليه العقل طمأنينة كاملة شاملة، ولا استقرت حدودها ومفهوماتها في حيز واضح يرضي مطامح الفكر، ويتهيء بـه الذهن تهيؤاً قوياً للحرية والاستمتاع بالحرية والافادة العامة من الحرية. فهي ما تزال، بعبارة ثانية، عاطفة خاصة، ان ظهرت اليوم قد تختفي غداً، وان احتواها قلب لم يكن من الضروري ان نفترض وجودها في قلب آخر، وان اوحت الى فرد بمعنى، فلا يبعد ان توحي بنقيضه الى فرد آخر.

ثم انها، من جهة اخرى، ككل فكرة عامة او ككل مبدأ، تلاقي اخصاماً كما تلاقي انصاراً، غير ان اخصام القومية على الاخص، يملكون من وسائل الهجوم ما ليس في حوزتها، فتقتصر على الدفاع، وهذا هو معنى السلبية في طبيعتها، فهي تحمل، بحكم هذه الطبيعة، عناصر تثقل كاهلها وتضعف سلطانها، ثم تزيد في قوة اخصامها، على مر الزمن وتعاقب الاحداث.

ولقد كان لنشوئها وحوادث تاريخها والصور التي تصورت بها والطرق التي اتبعت في تطبيقها حتى الان ـ كان لهذه الاشياء كلها، اثر فعال في تهديم قيمتها عند كثير من الفلاسفة والافراد، فلم تقو على رد الهجات التي يشنها وشنها اعداؤها من الرجعيين، واعداؤها من المتطرفين، واعداؤها من الانسانيين.

والظاهر ان طرائق تطبيقها خاصة في اوربا، اساءت اليها، وجعلت الكثيرين يكفرون بهـا من حيث هي « قيمة » او « جوهر » او « مثل أعلى ». فقد كانت هي الاساس الذي قامت عليه حروب نابليون، وهي المصدر الذي وردت منه الحروب الاقليمية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر (حرب السبعين، القرم، حروب النمسا وايطاليا) وهي العامل الاول في الحربين العالميتين الاخيرتين، وهي الغذاء الوحيد الذي تتغذى به الفكرة الصهيونية في عقول الصهيونيين.

والحقيقة التي لا نزاع فيها، هي ان القومية كالماء تتشكل بحسب الاناء الذي تحل فيه، اي انها تأخذ صفاتها من الامة التي تعتنقها، مع لحاظ هذا الفارق العظيم في التشبيه، وهو ان الماء يأخذ الشكل من انائه والشكل فحسب دون ان يتغير جوهره، ولكن القومية تأخذ شكلها وجوهرها معاً من الامة التي تصطنعها اساساً في كيانها، فالقومية الافرنسية غير القومية الالمانية، والقومية الالمانية غير القومية العربية. وهلم جرا... وشأن القومية هذا عند الامم، يشبه ـ زيادة في الايضاح ـ شأن الحب عند الاشخاص، فكما ان الحب في نفس زيد من الناس، يختلف عن الحب في نفس عمرو، ويتخذ صفاتـه والوانه ودرجاتـه ومظاهره من عمق وسمو، او خسة وسطحية، من خصب وطهارة، اوعقم وتبذل، بحسب شخصية كل منهما، فان القومية كذلك، تختلف في صفاتها والوانها ودرجاتها ومظاهرها، باختلاف كل امة تدين بها.

تجاه هذه الحقيقة، لا مجال للطعن في القومية كعقيدة اجتماعية او كمبدأ [1]، وانما يجب ان يتوجه الطعن ـ اذا كان لا بد منه ـ إلى صاحب العقيدة او صاحب المبدأ، الى الطرائق التي يسلكها في تحقيق مبدأه، الى الوسائل والاساليب التي يستعملها في نشره وافهامه، يجب ان نميز بين قومية وقومية كما نميز بين شخصية انسان وشخصية انسان آخر، لان لكل قومية « شخصية » خاصة بها تفردها عن غيرها من القوميات، وتخولها الحق في الحكم: إما لها واما عليها.

ولكن ثمة طبقة من اعداء الفكرة القومية، تعتقد ان هناك، في مكان ما، بعيد عن الارض واشجانها، شيئاً ينبغي اجلاله وتقديسه واحلاله في محله، فوق القومية، فوق الحيـاة، فوق البشر، واسمه « الفكر »، ويقولون ان « الادب » ينحل حين نسخره للقومية، ويفقد « طعمه » الانساني، وقيمته الخلاقة في حياة الافراد والجماعات، ويصبح اداة عبودية وتخلف وانحطاط.

(١) راجع ما كتبه الاستاذ « ميخائيل نعيمه » عن القومية في كتابه « الاوثان ». وما كتبه قبله الشاعر الهندي طاغور في كتابه Nationalities

— ١ —

اثار هـذا الموضوع في السنتين الماضيتين ـ وما زال مثاراً ـ فيلسوف فرنسا الجديد « جان بول سارتر » صاحب الفلسفة الوجودية ، في مقال حصل به على جائزة ادبيــة هامة ، فكان اسم سارتر والجائزة عنصرين كافيين لخلق الضجة وعصف الرياح ، رياح البحث والنقد من كل جانب . وكان عنوان المقال « تأميم الادب » حاول فيه سارتر ان يضع قسماً كبيراً من التبعة في كارثة فرنسا عام ١٩٤٠ على كاهل الادباء الذين جعلوا الادب نوعاً مــن « الدعاية » ، ذاهبــاً الى انهم اساءوا « الاختيار » حين آثروا العافية على النضال ، وقعدوا عن تحريك وجدان الامة ، فلا نبهوها الى الاخطار التي كانت تحيق بها ، ولا تماسكوا حيال الاغراءات التي كانت تستهويهم في الاحزاب والمناصب والجوائز والوظائف الى ان هزمت وهزموا معها ، وكان ما كان ..

ولكن انصار «الفكر» والداعين اليه رأوا في موقف سارتر ، على احكامه ودقتــه ، ضربــاً من التجوز ؛ وغلوا في فهم قيمة الاديب عــلى صعيد اجتماعي ، بحيث وضع الواقع وراءه . ولم يلتفت الى ان الاثر الفعال الصحيح في كيان الامــة ، اي امة ـ الامم الديمقراطية على الاخص ـ لما يزل في يد الجماهير ، والادباء افراد كغيرهم من افراد الجماهير . وكانت كلمة اندره جيد : « ما انا الا اديب ! » تتردد على الافواه ، وتصد عادية الفيلسوف سارتر ! واذن ، ليس على الاديب الا ان يقدم « فكره » وان يستمر في تقديمه ، فاذا تنافرت الافكار في امة واحدة وتخاذلت ، او اذا لم يكن ثمة من يعنى بالافادة منها وتطبيقها ، فاية تبعة يصح القاؤها على الادباء دون غيرهم ؟ !

الموقف ـ كما يرى القارىء ـ دقيق ، يحتاج الى تبصر واناة خشية ان يطغى عليه الغموض ، فينبغي ان لا نضيع في جو تخلقه الالفاظ . كما لا يجوز ان نستسلم لاوهام تخلقها دقــة الموقف ، فالايمان بحرية الفكر لا يتنافى ابداً مع القومية ـ ومع القومية العربيــة خاصة ـ والادب الرفيع مهما كانت صنعته لا يخرج عن ان يكون قومياً ، ولو تنكر للفكرة القومية وكان حرباً عليها .

ان شاعراً مثل « شللي » تتألب عليه حماقات الناس من كل طرف ويستمر عند آرائه لا يهتم بما تقذفه به انكلترا مــن آلام ومصائب ، ويتمرد على كل ما لا يروقه في افكار الغير ، ثم يعزف على اوتار الحب عزفاً عبقرياً يسكر النفوس ، ويثير فيها اسمى ما يمكن ان يثير من العواطف ـ ليبقى « انكليزياً » ولو اضطهدته انكلترا وعاش طريداً عنها معذباً فيها . شللي شاعر انكليزي ، ومجد من امجاد انكلترا ، ولو لم تقدره انكلترا بادىء الامر ولم تلتفت اليه ، ولو لم يمجد هو ايضاً عظمة انكلترا ويدعو الناس الى اكبارها كما فعل اللورد « تينسون » شاعر البلاط ، او كما فعل من بعدهما « رديارد كبلنغ » شاعر الامبراطورية البريطانية . بل قــد يكون شللي قد افاد بريطانيا ، وخدم بريطانيا ، اضعاف اضعاف ما افادها تينسون او كبلنغ .

وما يقال في شللي عند الانكليز يقال في « غوته » عند الالمان ، فان هذا الاخير دفع بالثقافة الالمانية قدماً في معارج الرقي ، ورفع رأس كل الماني عند ذكر الادب والادباء ، ولكنه عاش انساني النزعة نير الروح يحب في فرنسا ، وهي عدوة بلاده ، ما يحبه في المانيا ، ويكره في المانيا كل ما يكرهه الرجل الحر ، فلا يصح النيل من قوميته ، كما انه لا يخرج عن كونه المانياً ، ولا يمكن اعتباره غير الماني !

— ٢ —

وهذا لا يعني ابداً انــه يحق للاديب او للمفكر ان يناصر اعداء امته ، فيكون عوناً لهم عليهــا ، بدعوى الحرية الفكرية واستقلال الرأي وحب الانسانية وبعد النظر ، كما نسمع اليوم عن كثير مــن المتحذلقين الذين يدعون الناس الى نبذ التراث العربي والاقبال على ادب الغرب وادبائه ، لان مثل هذه الدعوة ، ان صحت في اسبابها المدعاة من قوة فكر وعاطفة انسانية وحرية رأي ـ وذلك موضع شك ! ـ لن تصح في نتائجها العملية ، اذ تنتهي بنا حتماً الى محو قوميتنــا وتفتيت كياننــا ، دون ان تربح الحرية بذلك شيئاً ، ودون ان ترتفع القيم الانسانية ، ودون ان ترتقي المدنية !

ولنا في حالة المغرب الافريقي شاهد ودليل ، فان الثقافــة الافرنسية التي اخذ في اصطناعها قسراً عنه منذ قرن تقريباً ، لم تكن فيه عامل تحرير ولا سبيل انهاض ، بل جعلته في مضطرب خانق من كيانه الروحي ، واعملت فيه هدماً وتقويضاً فما انتج ولا اخصب ولا ارتفع ، وذلك معقول ، لان هذه الثقافة فرضت عليه فرضاً ، فقتلت بحكم فرضها ، ما فيــه من نشاط وحماسة من جهة ، ولانها لا تعبر عن روحه ولا عن تاريخه من جهة ثانية ، بينا اذا تلفتنا الى ماضيه ، عهد الحكم العربي ، وجدنا ادباءه وفلاسفته وشعراءه يحتلون من تراث العرب القمة المرموقة !

ليس المهم اذن في الانتاج الادبي نوع اللغة او نوع الثقافة ،

ولا المهم ان نجعل قيمة الفكر فوق كل قيمة جعلا نظريا صرفاً ، ولا المهم ان تكثر المدارس والشهادات والصحف ، وانما المهم هو شعور الامة بنفسها كوحدة وانطلاقها نحو تحقيق نفسها .

هذا الشعور كاف لان يخلق فيها الادباء والمفكرين والفنانين من كل جنس ولون ، اذ لا بد وان تحاول التعبير عن شعورها ، وهي لا تثبت وجودها الا بهذا التعبير ! والاديب مهما استقل وتمرد وتحرد وانفرد عن امته ، فانه يبقى جزءاً منها ، والجزء لا يفسر الا بالكل ، ولا يكون اداة صالحة الا حين يحتل مكانه من الكل .

هكذا نفهم ان طاغور مثلا هندي وان كتب بالانكليزية ، وان انسانيته ليست الا مظهراً من مظاهر الروح الهندية التي تمثلت قبله في تعاليم بوذا وتلامذته ، وانه لا يختلف عن غاندي من حيث الروح القومي والحس الوطني ، وان تعارضا في فهم المبادىء وتطبيقها [1] . فالهند ، كوحدة روحية ، ظاهرة عياناً في سياسة غاندي وادب طاغور .

وهكذا ندرك انه لا يمكن الفصل بين الادب والقومية ولو نظرياً . لان شخصية الاديب « محصول » قومي . فاذا اخصبت ولمعت كان اخصابها ولمعانها ، بمقدار ما هي تعبير عن الامة وخصائصها في عصر معين وبيئة معينة .

— ٣ —

اما ما يطلب الى الاديب فهو ان يكون « انساناً » قبل ان يكون كاتباً او شاعراً ، وان يكون ذا رسالة يغلب فيها البناء على الهدم . هذان هما الشرطان الاساسيان ، ولا يهم بعدهما ان يقضي الاديب ايامه في التغزل بالمرأة والتحدث عن الحب او في التغني بامجاد الوطن وعبقرية الامة ، او في الدفاع عن الانسان والانسانية ، لانه حر فيما يختار ، فلا يصح ولا يجوز ان نفرض عليه مبدأ من المبادىء او طريقة من الطرق ، وهو انما ينتج — حين ينتج — ليفرض علينا لا لنفرض عليه !!

واذا لم يتوفر ذانك الشرطان في شخصيته وانتاجه ، تستطيع ان تقول عنه ما تشاء ، وان تنعته بما تريد ، ولكن لا يصح ان يقال عنه « اديب »

تصور مخلوقا يدعي العلم والفهم ، ثم لا يكون من شأنه بعد ذلك الا ان يغذي النعرات الطائفية ، ويثير العصبيات الاقليمية ، ويوقظ الفتن القائمة ، ويزرع الحقد هنا وهناك ، ويصور النفس البشرية في ابشع صورها ، ليروض الناس على العبودية ، ويحسن لهم حياة الهوان ، وفكر فيما عسى ان يكون هذا المخلوق وهل هو وحش ام انسان ، تجد ان القضية ليست قضية « قلم » وانما هي قضية « روح » !

وللادب في الحياة وظيفة اجتماعية يؤديها من تلقاء نفسه على اكمل وجه ، قصد به صاحبه اليها ام لم يقصد ، فكم من شاعر نظم قصيدة ، وهو لا يعرف من امرها الا انه نظمها ، حتى اذا انتشرت سرت في اوساط العامة والخاصة ، تهز العواطف وتجدد المقاييس وتوقظ ما ركد في الاذهان . وهذا ماحدث لبيرون حين قال : « وأفقت ذات يوم فرأيت نفسي مشهورا » ، كما حدث لقصيدة « البحيرة » التي نظمها لامرتين تنفيسا عن كروب تعتمل في صدره ، واداء لمعان ظن انه يختص بها وحده ، فاذا هي بين عشية وضحاها قصيدة كل الناس !!

لذلك ، اعتقد أننا لا نحد من حرية الاديب حين نشترط عليه ان يكون بناء لا هداماً ، ولا نسيء الى قضية الفكر حين نريد منه ان يكون انسانياً فيما يعالج من مشاكل ويعرض من افكار ، فهو اذا لم يكن قومي النزعة ، فلا اقل من ان يتفادى الاضرار التي قد يتعرض لها المجتمع من جراء احكامه وتوجيهاته . وهذا التفادي انما يكون في تقدير النتائج والنظر في العواقب واستباق الكلمة الى اهدافها قبل ان يضل مفهومها في العقول والنفوس .

هذا ما تأمر به الحكمة ، ويؤيده المنطق ، ويدعو اليه دين الاغلبية الساحقة من البشر . وهذا ما تريده القومية الصحيحة الواعية !

صبرا — عبد اللطيف شرارة

(1) راجع كتاب «مهاتماغاندي» الذي نقله الى العربية المرحوم عمر فاخوري .

زفرة

☆

أن زفرتها الحالمة التي تهفو الي ... من هناك
البلد الحبيب ... لا تزال تناسم وجهي
ب له الدفء . . وتبعث في قلبي رعشة الحنين

☆

لبديع حقي

باريس



كيف حـازها نَسَمٌ هـلٌ والتوى وهَمْ
والمنى ، خيوطُ احلامها ظـلالُ هـمْ

* * *

في شواطىء الندى ، رعشةٌ من الحَمَمْ
نسمةٌ ، تطوف في الثغر سمحـةُ النَّغمْ
تمسح الشفاه ، بالوهم ، ان غـوى الالمْ
ردهـا الى الاسى بعض ما يبوح فمْ

* * *

غازلت ، عطور آمالها عـلى سقـمْ
فالسفوح اومأت ، مرة ، الى النَّسـمْ
فانحنى وغام في زفرة سمعت ، ولمْ
يفن ، في عبيق انفاسها ، مدى الظلمْ

* * *

جرحها الرغيب ، عفواً بغى ، وما التأمْ
والغدائر الطفالى ، غميسة بدمْ
تغمر الجبين ، هيمى ، عتية النهمْ

* * *

حلوة ، على خدود ، تسربل النعمْ
فالصباح ، خالها دمعة من الديمْ
والفراش ، ظنها خلجة من الندمْ

* * *

نيسمٌ ، على جناح ، هفا ، الى القممْ
والهاً ، يذوب ، في زفرة ، وفي سأمْ

مع «فاوست» فاليري

بقلم محمد روحي فيصل

☆

انتهى بول فاليري من تأليف مسرحيته « فاوست » في صيف ١٩٤٠ الاحمر ، ولكن هذا الحادث الادبي الكبير لم يتصل بعلم الادباء المعجبين بالكاتب الشاعر في شتى ارجاء المعمور الا منذ اسابيع ، حين نشرت صحيفة « الانباء الادبية » التي تصدر بباريس الفصل الثاني من المسرحية ، وهو ما سيراه قراء العربية بعد قليل .

يخيل الي منـذ الان أن سوف يكون ا« فاوست » فاليري شأن يعدل شأن « فاوست » غوتي في عالم الادب ، هذا اذا لم يفقه او يربو عليه . . وذلك لان في اثر شاعر المانيا ثغرات . . لمحها دارسو غوتي من النقاد امثال ارنست لشتنبرجر وغيره ، كالتفكك وفقـدان الانسجام بين الحوادث والفصول ، وقد نشأت فيما يرى فاليري نفسه عن وقوف غوتي عنـد جزئيات الاشياء وظواهر الطبيعة . ولا بد ان يكون بول فاليري ، وهو الاديب الذي تحقق فيه الحس الفني كله ، قد سد الثغرات المفتوحة عند غوتي ، وأبدع الاثر الادبي الكامل . . .

من هذا فاوست؟

ليس من شأني هنـا ان اتحدث عن شخصية فاوست العجيبة يوم كان قوام الاسطورة القروسطية في الاحاطة بالطب والعلم والفن والدين والحكمة والسيمياء ايضا ، ثم باع روحـه للشيطان حتى يطول عمره وتستمتع جوارحه . . . وحين صار عند لسنغ وغوتي الالمانيين الى نموذج للبطل الروائي الذي يريد ان يعرف كل شيء ، ولا يطمئن الى شيء ، وقد سمي الاستاذ والدكتور كما قال غوتي ، وقضى عشر سنوات مع تلاميذه ثم يرى نفسه بعد هـذا كله لم يزل عـاجزاً عن ان يدرك امراً او ان يلم بشيء ، ثم تقلب مع شيطانه « مفستوفليس » على امل وفشل ولذة . . .

بلى ! ليس من شـأني هنا ان اعرض لحديث فاوست ، لان فاوست وغير فاوست مما انعقد له الكلام الطويل العريض حتى في العربية التي اخذت تضطلع منذ ربع قرن بنقل الاثار الفنية العالمية اليها ، وتعريف الناس بمنشئيها وابطالهـا وخصائصها وملابسات تأليفها ، على نحو لا يخلو من النقد والتحليل في بعض الاحيان

وانما يعنيني الان شيء واحـد ، هو : كيف قامت صورة فاوست في نفس فاليري ، ومدى تبلورها في ذهنه ، وحـدود انطباقها على غوتي ايضا .

كان بول فاليري يجهل الالمانية ، وكان يعلن اسفه لهذا الجهل الذي حرمه من الاطلاع المباشر على ادب غوتي خاصة . ولكنه فيما يقول قـد استطاع من خلال « نقاب » ترجماته الفرنسية ان يلمس في هذه الذخيرة الشعرية كل اهتزازاتها ومساوقاتها في عالم الفكر والروح . فغوتي في نظر فاليري هو « الظمأ الانساني للامتلاء من العقل ، والنظرة الشامله ، والانتـاج الموفق » وهو « ابرا السادة الاميون ، خير من جعلنا نشبه الالهة » .

يبدو اعجـاب فاليري الفرنسي بغوتي الالماني في خطبته التي القاها عام ١٩٣٢ في ردهـة الصوربون لمناسبة الاحتفال بالذكرى المئوية لوفاة مؤلف « فاوست » . وفي هذه الخطبة التي تجد نصها في « اشتات » فاليري الرابعة ، ضرب من الدراسة القائمة على الشعور والفكر والتحليل صورت غوتي اصدق وادق واروع تصوير .

وعندي ان خطبة فاليري هـذه تعـدل كل ما كتبه ارنست لشتنبرجر في كتابه الضخم عن غوتي ، وذلك لسبب بسيط جدا هو ان بول فاليري اقوى عبقرية فنية باحثة في الربع الثاني من القرن العشرين على الاطلاق .

ولعل اشد ما راعني في الخطبة ان فاليري يتحدث عن غوتي وفاوست معاً لا يفرق بينهما في الحديث كأن الرجلين عنده شخص واحد على وجه التقريب . واذن فسننتفع من هذا المزج الطريف بين الرجلين لنجلو شخصية « فاوست » كما تبلورت في ذهن فاليري :

« واول مـا ينبغي ان تعرفه من فاوست انه القلق الخالص والشك الدائم . . . »

« ثم لقد كان فاوست اقل الناس جنونا في الحب، واحرصهم على نفسه من الضياع اذا ما ذكر المجنون. كان الشيطان يغريه على الحب، ولكن الحب عند فاوست معناه ان نفيد منه اقصى ما يمكن ان يقدمه للعقل من الفوائد كحسن الفهم، والرغبة في البناء، والقدرة على الانتاج، والعمل من اجل الخلود .. فالحب واسطة والحب أفعى ... ينبغي النظر اليه عن قرب حتى نقوى على وصفه وتشريحه • وكان فاوست يرى امتلاك كل امرأة، وتذوق كل لذة، وفهم كل شيء، شريطة ان ينجو بنفسه آخر الامر من اي سلطان او سيطرة • ذلك ان فاوست في نظر فاوست يجب ان يبقى سالماً ... لا بأس بالحب، والاستسلام للحب على ان نخرج من اشتات التجربة او التجارب بالعصارة الخالصة التي تسكر العقل •

«ثم ان فاوست يرى ان عبقرية الكون والوجود اعظم واكبر من عبقريته • وهو يعني بهذا ان اخص واهم ما في الانسان ملحوظ ومشاهد في اصغر شيء خارجي من اشياء الطبيعة، وقد اخذ نفسه بدراسة الظواهر الطبيعية، لان ايمانه بعظمة الكون لا حد له... لم يقدر « همات » وطأة الجمجمة، فتنسم خلاءها وهو خائف، فارتفع نبض قلبه ثم رمى بالجمجمة على الارض في كثير من القرف، ولكن فاوست الملم اجزاءها البشعة المشؤومة ببرود ثم راح يفحص الجمجمة، باهتمام كبير كأنما هو يفك رموز احدى المخطوطات القديمة ... ان ما تقع عليه عينه من الاشياء المرئية ليذكره بما يثبت ولا يوصف من عالم الحياة الداخلية • وما يلاحظه الانسان في داخل نفسه لهو أضأل جانب من وجوده • فهو يرى ما ينقصه قبل ان يرى ما يملكه... واذن ففاوست شخص مولع بدراسة الظواهر الكونية مكبر لخطرها وشأنها، مقابل بينها كما ترى على تواضع وبين الظواهر النفسية التي يتحسسها في احناء صدره وقلبه •

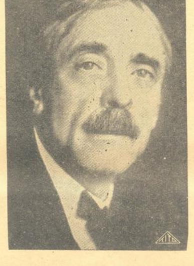
« لقد وصل فاوست الى ان وجد نفسه ثم اضاعها ثم وجدها .. فانشأها انشاء جديداً، ليكون هو نفسه وهو غيره معاً في آن واحد • وجعل يراقب في نفسه موسيقى تطورها ونموها، وهو تطور اتساع تناول بالتبديل الخفي كل الاذواق والرغبات والاراء، بحيث يبعث على الاعتقاد بان الانسان الذي يحيا بعناد لا بد ان يتحسس جميع ما يجذبه او يدفعه، ولا بد ان يعرف كل الفضائل، تاليها على الفور كل الرذائل • ويفقد آخر الامر، ازاء اي شيء، كافة الانفعالات المتعاكسة والمتقابلة • فالـ « أنا » تستجيب لكل نداء، وتصبح الحياة في الحقيقة عبارة عن امكانية العمل •

« وفاوست العظيم هو الامبراطور نابليون بونبرت المتوج، او ان الامبراطور نابليون بونبرت هو فاوست المتوج، يتمرغ على اعتابه عام ١٨٠٨ ملوك اوروبا طراً • ها هي مملكة العقل الذي يعمل، ومملكة العقل الذي يفكر، كلتاهما يتأمل بعضها بعضاً، وتتجاذب الحديث برهة من زمان ... اية برهة من ؟ انها البرهة التي تقول : امسك بي عن الجريان، لا تدعني اسير .. انني برهة جميلة جداً ! وهي برهة جميلة حقاً، لان نابليون بونبرت او فاوست الثالث قد انفلت من اسار الواقع ليستطيع ان يقوده ويعامله بجدة وقسوة ثم يدفع جوقة حوادثه ووقائعه بحركة غاضبة ... »

لا اريد ان استرسل وراء صورة فاوست كلها، فيما قدمت لك من بعض جوانبها يكفي لان تلمس باناملك ضخامتها وعظمتها من خلال فاليري وغوتي ونابليون ايضا •

ولعلك قرأت « فاوست » غوتي، وظهرت على ما كانت تتنازع نفس الدكتور فاوست من عوامل الرجاء والخذلان، وبواعث الخير والشر، وكوامن الشعور الحي المتهافت على المعرفة والمرأة واللذة • فهل انسحبت قصة « فاوست » فاليري على ذيل قصة « فاوست » غوتي ؟ لا استطيع ان اقطع بالجواب الان، قبل ان اطلع على اثر فاليري كله، وهو ما سيظهر قريبا عن دار غاليمار بباريس

ولكن صورة فاوست التي رسمتها لك من قبل، والفصل الثاني من المسرحية بتمهيدها الذي ستطلع عليه بعد قليل، يسمحان لي ان اتخيل « فاوست » فاليري تقوم على صور واخيلة وخطرات وفلسفة



بول فاليري

وحوار تختلف عما قامت عليه « فاوست » غوتي من ذلك كله ، وان اشتركت معها في كثير من المعالم والشخوص ... ومن المؤكد الذي لا يتطاول اليه الريب ان فاليري في روايته قد برأ او سوف يبرأ مما اعتور غوتي من اسباب التفكك حين اعتمد على الجزئيات والظواهر والزمن ايضا في نسج ابعاض روايته !

اما تمهيد فاليري لكتابه فهو عبارة عن بضع كلمات قيمة لا بأس ان اظهرك عليها الان ، لانها تلقي النور منبسطاً مضيئا على ما استمد وامتاز فاليري من غوتي ، قال فاليري يخاطب القارىء :

« من حين شخص فاوست وزميله الشيطان ان يعودا الى الظهور في شتى ضروب التجسيد . ذلك ان الذي خلقهما اول مرة قد جعلهما في شكل يصبحان بعده ادوات الفكر الشامل ، يفيضان في اثره الفني بما اودع فيهما من الصفات . لقد اوكل اليهما القيام « بمهام » كبرى ، لا العمل في « ادوار » معينة . ثم لقد نذرهما ابد الدهر ليكونا صورتين لما في البشر وغير البشر من منازع تحللت من اخص ملابساتها !

« وعلى هذا الاساس ، اجزت لنفسي ان استعير فاوست والشيطان لما اريد من بناء ...

« ففي المئة سنة المنصرمة ، تبدل كل شيء في هذه الدنيا وصارت الامور الان الى غير ما كانت عليه في القرن التاسع عشر . ينبغي اذن ان تغري البطلين المشهورين في قصة غوتي على ان يغوصا الى اعماق دنيانا هذه علهما يطلعان علينا بجديد ...

« وبعد لقد وجدتني ذات يوم من عام ١٩٤٠ اتحدث مشدوهاً باسانين واجأر مضطرباً بصوتين ، ثم رحت اخط على الورق ما كان يوحى الي ... وكذلك بدأت احرر الفصول ملهما مسرعا لا اجري على تصميم واضح ، ولا اتكلف حوادث معينة ، ولا احيط فكري بحدود . وقد وجدت فيما وراء وعيي وشعوري يكمن متواريا غامضا فاوست الثالث يستطيع ان يتذوق وان يفهم طائفة لا حد لها من مؤلفات صنعت للمسرح كالدرامة والملهاة والمأساة ، وكتبت شعرا او نثرا حسب المزاج الملائم ، وكلها مؤلفات يتمايز بعضها من بعض ، ولكنها على ذلك لن تتحقق فيما اعلم ابدا ...

« على اني مع هذا مضيت اكتب المشهد تلو المشهد ، والفصل بعد الفصل ، حتى اجتمع لي قدر من الكلام قام عليه هذا الكتاب »

ونحن نتقبل منذ الان اثر فاليري الرائع . فانما كتابه الجديد هدية فكرية ، ومتعة فنية ، ومجلى طبيعة خصبة في محراب العقل .

والان .. الى الفصل الثاني من القصة ، يجيء فيه التلميذ من آخر الدنيا ، يعلن اكباره لفاوست في حوار طريف معه في الحديقة .

* * *

في حديقة فوست

☆

« يدور الحديث في الحديقة امام بيت فاوست »

فاوست

« وحيدا ، يمزق بعنف احدى الاوراق »

لا .. لا .. بكل تأكيد . ان المشكلة لا تحل ببيع هذه القطعة من الارض ، وهذا البيت المتواضع .. سأحتفظ به . هذا ما عزمت عليه نهائياً . نعم ، ساحتفظ به ، وهو نفسه يمسك بي عن البيع .. ولكن اذا كانت الفكرة هي التي تغلبت على طراءة المكان ، فذلك معناه اني مستمسك بالفكرة او ان الفكرة تمسك بي .. ولكن اذا قمت بعملية البيع ، فانا مضطر ان اشتري بعدها شيئاً آخر ...يا للحيرة والفوضى ! ان العادة اذا ما رسخت اصولها في الانسان صارت قيدا واستسلم لها (يجلس) لهفي على هذه الاشياء ! اني لاجلها ، احب كل عشب اخضر من الاعشاب ، فاراها عندما اريد ، واتجاهلها عندما اريد . آه : لو يعلمون كيف احيي هذه الشجرة من الدلب الجميل كل صباح ، وكيف اعانقها بقلبي .. فهل يظن الكاتب العدل النذل اني لا احسن قراءة ورقة من اوراق المعاملات ؟ تباً لهم من رجال قانون !

« يدخل التلميذ وهو شاب حديث السن »

التلميذ

ايها الاستاذ .. يا استاذي (باحترام زائد) أيمكن هذا ؟

في محيك ومعتذر اليك . . انا متأثر جداً . .

فاوست

اهلا وسهلا . . مرحبا يا سيد . تقول انك متأثر ، لكن حذار في حياتك ان تبدو متأثراً امام اي انسان

التلميذ

انت لست انسانا ايها الاستاذ . وهل يمكن ان يقوم انسان من الناس بما قمت به انت من الكشوف وتأليف الكتب التي طالما قرأتها وانا في آخر الدنيا حيث جئت منه الان ؟ آه لو تعرف ، يا استاذ من انت في نظري وفي نظر كثيرين غيري ! عفوك ان لم احسن التعبير عما يجيش في صدري نحوك من الشعور ، فأنا ما استطعت ابدا ان اقاوم الرغبة الملحة في رؤيتك ، والاطمئنان على حياتك ، والتأكد من وجودك . .

فاوست

أأنت قادم من آخر الدنيا ؟ هذا مكان ناء جدا . تفضل اجلس . .

التلميذ

لا . . يا استاذ ، اعفني من الجلوس . كل شيء الا ان اجلس في حضرتك !

فاوست

قل لي : اين تقع آخر الدنيا ؟ اني احب ان اقوم برحلة طويلة لعلي انا ايضاً اتأكد من وجودي . . لقد قمت من قبل بعدة رحلات انتهت بي آخر الامر الى هذا المقعد في هذا المكان ، وقد افدت منها . . . اشياء كثيرة الا ما يتعلق بنفسي التي لم أتأكد من وجودها في غرفتي او في حديقتي .

التلميذ

جميلة جدا هذه الحديقة . . لا بد انك عرفت المباهج الروحية في هذه الرقعة الصغيرة الهادئة . . .

فاوست

عرفت فيها الوان الضيق والبرم من الحشرات والهوام ومن كل ما يدب في هذا العالم الضيق العجيب . .

التلميذ

ولكنك ايها الاستاذ انت هنا مع عبقريتك التي تبدع ، ومع مجدك الذي يأتيك من عرض عالم الفكر . .

فاوست

اجل ، اجل . . ولكني اعتقد ان عبقريتي ليست غير « العادة » التي الفتها في القدرة على صنع ما اريد . فاذا كان هذا ما يطلق الناس عليه « عبقرية » فانني لأرى ان هذه العبقرية قد سلكت نحواً منتظما هو طريق العادات ثم جاءت تبدع (كما تقول) في نفسي — او بواسطتي — من الساعه والساعة والساعة — كل الايام التي قضيتها . . .

والنتيجة التي وصلت اليها هي اما ان لا اكون على شيء من العبقرية ، واما ان تكون العبقرية التي يتحدث بها الناس ليست في حقيقتها كما يحسبون . . . يا للعمل الغريب العجيب : توزيع هدايا المصادفة على جماعة المغمورين المجهولين !

التلميذ

اوه . . ماذا تقول ايها الاستاذ ؟ ليس من شك مطلقاً في انك انت مشعل العصر . ان الشبيبة كلها تهتف بذلك

فاوست

مشعل العصر ؟ ! من الممكن ان يكون هذا صحيحاً ، لان هذا العصر لا يسوى شيئاً ، ومشعله بالطبع من نوعه . . اما الشبيبة فاعذرني اذا قلت ان كل شيء فيها يدل على انها تنخدع !

التلميذ

حقاً يا استاذ ، انا معجب كل الاعجاب بتواضعك وبساطتك . ان تأثري الان لاشد مما كان وانا اقرع باب بيتك

فاوست

لا ارى ايها الصديق اني متواضع ، وارجو الا اكون بسيطا . . انما تثقل علي الموانع التي تحول بيني وبين التواضع والبساطة . لا شيء ادعى الى الازعاج والارهاق مثل من يبدو في صورة الرجل العظيم ، لان الذين يحبونه او يأنسون اليها هم اول من يشفق عليها !

التلميذ

. . . ثم انك يا استاذ شاعر بجلال العمل الذي اسديته للناس . انه عمل كبير الاثر ، خالد على الدهر . كتابك « الدقة » وحده يكفي . . وايضاً السفر العظيم « هيكل الفكر » الذي لا يفارقني ، على اني احفظه كله عن ظهر قلب . . انظر الى هذا الكتاب يا استاذ :

« يسل من جيبه كتابا »

فاوست

ليس هذا كتابا ، انه خرقة . الحق اني لئن كنت فيما مضى احب كتبي ، فانما كان يحلو لي ان اتصفحها وانا في الحال المعهودة من التعب والضعة !

التلميذ

الا تحب كتبك الان ؟

فاوست

وكيف تريدني على ان احب ما لا يجلب لي غير الالم والحزن ؟ لا تفغر فاك هكذا ... اظنك لم تفهم ما اقول ، فلننظر في الامر معا : لو فتحت اي كتاب من كتبي ثم اخذت اتذوقه معجبا فيه بنفسي ، هنالك اشعر باني دون الذي كتبته ... ، واقول لي : « انت ياهذا لن تستطيع ان تكتب اليوم مثل هذا الكتاب. انت ستبقى ابدا على نقصانك » وهذا شعور كما ترى يضني من يعانيه . اما اذا كان الامر عكس ذلك ، اعني اذا كان النص الذي اقرؤه تافها ، او كان الاسلوب مما لا اقوى على احتماله ، فاني لاخجل ان اكون ذلك المنكود التعيس الذي سطره. ليس عن هذا محيص ولا مفر فالمرء يرثي لنفسه في الحالين : في الحال التي يكون عليها او في الحال التي كان عليها. والبرهة التي انت فيها .. لها دائما وجها «جانيس»[1] وكلاهما كئيب محزون !

فاوست

الحقيقة يا صديقي اني لا احب الماضي ولا اكرهه ، كما اني لا احب ولا اكره كتبي التي هي في الواقع قطع من هذا الماضي او قل ثمراته .. ليست كتبي مني واست منها ، فما اجدني ابداً في الماضي .. وهل للانا ماض ؟ فانما لفظة الماضي ليس لها مطلقاً عند الانا معنى ... لقد عشت فيما مضى ، عشت اكثر من عيش ... كيف اشرح لك هذا ؟ .. اراني استطيع ان اعطيك من حياتي الفريدة الا صورة .. تمثل حياة المرء كلها ضرباً من الحركة ، تنطلق من مكان ويوم ولادته ، الى مكان ويوم مماته . وتشرق شمس الحياة من نقطة في الافق ثم ترتفع خلال ضباب الطفولة وألاعيبها الطرية ، ويأخذ بالسطوع نهار الاحاسيس والرغبات والمعارف والانفعالات والخواطر ... ثم يدق النور ويصلب خطه ، ويعنف لفحه . حتى اذا وصل كوكب القدرة والاستقرار الى ذروة مسراه ، اخذ بعدها في الافول رويداً رويداً ثم يغيب ... فالانسان كما ترى ضرب من الحلم طار فما ترتد اليه ليلته التي هي كل حياته ... لن تلتمع شمس وجوده مرتين ، ولا تضيء غير مشاهد مختلفة تتسلسل بين جديد ولادته وجديد مماته .. اما انا يا صديقي فقد شاءت القوى الخفية ان ارى نهار حياتي يتمشى تحت افق القدر ، وان اقوم بدورة حقيقية حول العالم الحقيقي ... وعدت الى الزمان يسحبني فيه قضائي وقدري .. عدت لاعيش ، فعشت مرة اخرى. وانا الان اعيش وارى واتعلم .. لقد كنت تتحدث منذ هنيهة عن العبقرية .. وقلت لك انها ليست عندي في معناها وقيمتها غير العادة . فالفكرة اذا خطرت ببالي على ندرتها وجراءتها ، لن توحي لي مطلقاً بشعور الطرافة والجدة ، فهي تبدو لي عند انبجاسها كأنما قد فكرت بها من قبل



التلميذ

ماهذا يا استاذ؟ انت تدفع بي الى الاسى واليأس ... من كان يقول لي اني واجد يوماً في فاوست العظيم مثل هذه المرارة الدفينة العميقة؟ انك تنير الان كل ما نحبه بالضوء الغريب البارد

---

(1) Janus اقدم ملوك اللاتين في الميثولوجيا الرومانية، استقبل الها كانت السماء قد طردته فاحسن استقباله واكرم ربوبيته . ويقدر جوبيتر ، رب الارباب ، صنيع جانيس مع الاله الطريد ، فيكافوه بالفراسة يودعها في عقله ، فتنبئك ببصيرته حجب الماضي وحجب المستقبل .. فمن هنا يمثلون جانيس في وجهين اثنين هما رمزا الماضي والمستقبل اللذين تكشفت مساتيرهما في عيني نفسه . وفي روما القديمة ، كان معبد جانيس مفتحة ابوابه على الدوام لاصحاب الحاجات ، ما دامت الحرب قائمة ، فاذا كان السلم اغلقت الابواب ، ولم يجر هذا الاغلاق الا تسع مرات خلال الف عام ! . (لاروس)

واعمات التفكير مراراً . . . اما المجد فماذا يمكن ان افيد منه ما دمت اعرف انه ثمرة هذه الكائنات الحية التي لن تعيش غير يومها الوحيد ؟ !

التلميذ

ان كل ما قلته لي ايها الاستاذ قد نقلني الى عالم من الحقائق بلغ من الصعوبة والقساوة بحيث اراني لا اجسر على ان اتحدث اليك عن نفسك وعن عملك . . . فان ما كنت اراه فيهما من رأي لينأى جداً عما ينبغي ان اراه . كنت مثقلا بالاسئلة، وكنت ارجو ان اظفر لهذه الاسئلة باجوبة لو ندت من فمك لكانت خليقة ان تقرر مصير حياتي وان تدفع بي الى الثقة باعمالي . ولكني اخشى ان لا تستطيع ان تقول لي شيئاً يتجاوز حدود ما استطيع ان انتفع به وافيد منه . يخيل الي ان نظرتك الى عملك الذي انتجته تختلف كل الاختلاف عن نظرتنا نحن اليه . فالابداع عندك ، كما يبدو من اقوالك ، ليس اكثر من عمل لاعب كبير قد تجمدت مواهبه عند لعبه ، اعني انه يقوم بنصيبه من اللعب كل مساء في ساعة معينة ، وعلى طاولة معينة ! اما الابداع عندنا ، فيبدو فيما تصنعه انت : ثمرة محاولة جريئة موفقة تنصب على ما يوحي اليك وما يدق في نفسك من المشاعر ولا يستبين، ونراه نحن ذا شأن عظيم ولكنه يفر من انامل اي انسان خلا اناملك ، كما تفر من السابح اليائس شارات المهالك التي تنجيه من الغرق ، لولا ان حركته التي يطلقها ليمسك بها هي نفسها التي باعدت بينه وبينها . . . واللفظ عندك موفور ومبذول لخواطرك ، وهو لنقاوته الجميلة ، واخذه باسباب القوة ، واعتماده على ما ينبغي له من « الهرمونية » او مساوقة الجرس التي تضطر العقول الى الاستمتاع بقواها التي تنطوي عليها ولا تدري — لفظك هذا لا يلتمس الا ما يصعب عادة على البيان التاسه ثم ينفضه كله في خطوطه ومعالمه . . .

فاوست

أراك تفكر فتحسن التفكير ، وتقول فتجيد القول ! هل تتوقع مني وقد أصغيت لك ايها الصديق أن اسدي اليك طائفة من النصائح ؟ ولكن خير النصائح لا نفع لها عند الغفلة والزلة ، ولا هي تنجي امرءاً من خطل الا لتوقعه في آخر صدقني اذا قلت لك ان من الضروري ان يخطىء المرء . فما يخرج الخير ولا الحق ولا الجميل من تجربة الاخرين . أفما قرأ رجال السياسة جميعاً صفحات التاريخ ؟ لكأني أراهم مع ذلك ما قرأوها الا ليعرفوا فن « صناعة الكوارث » ! .

التلميذ

واذن فانت لا تريد ان تقول لي شيئاً أحتفظ به لنفسي كذكرى نادرة ؟ ! كل ما اطلبه منك ايها الاستاذ حفنة من سم التطور العميق العجيب ، علها تكون عضة افعى الحكمة في لحم فكري . . قل لي كلمة واحدة او حكمة صغيرة ارددها وانتفع بها كلما مر ذكراك في خاطري . .

فاوست

« احذر الحب »

التلميذ

أتتنكر للحب يا استاذ ؟ !

فاوست

أنا لم أقل هذا ، لان التنكر غير وارد هنا ، ولا معنى له

التلميذ

فماذا يعني اذن كلامك ؟

فاوست

معناه سوف يطلع عليك في يوم من الايام . و « احذر الحب » ليست نصيحة ولكن هدية من كلمتين اقدمها لك .

التلميذ

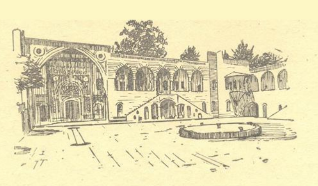
هلا كتبت لي الكلمتين بيديك على كتابي ايها الاستاذ ؟

فاوست

لا . . . لن اكتب بعد اليوم أبداً . سأملي املاء . ان معرفتي كيف اكتب اسمي او اوقع امضائي بيدي قد دفعت ثمنها غالياً جداً . انتظر قليلا (ينادي كاتبه) تعال يا ليست ، وهات الدواة ! وداعاً سيدي ، ورافقتك السلامة في عودتك الى بلدك

(يغادر الحديقة والتلميذ في انحناءة اجلال)

دمشق — محمد روحي فيصل



قصر الامير بشير في بيت الدين

مدى اثر الفن في حياتنا الحاضرة

بقلم مصطفى فروخ

استاذ الرسم في جامعة بيروت الاميركية



اما قضية تأثير الفنون في حياة الامة ، ولاسيما الناشئة منها وخاصة التي تضطرب ثقافتها وتفكيرها ثم الدور البعيد الذي تلعبه التربية الفنية في تكوينها الخلقي والنفسي ، كل ذلك بات من الابحاث المفروغ منها . وقد يمل اكثر الناس عندنا التحدث عنها ، لنقص اساسي في ثقافتهم العامة وتربيتهم الاجتماعية ، ولكن سنتابع رسالتنا مطمئنين الى عملنا .

والان نقول ، اذا نحن اتفقنا على الاساس ، ان الفنون الجميلة ذات تأثير مباشر في تكييف طبع الانسان ، والتأثير على ذوقه وخلقه ونظرته الاشياء بل للحياة ، فنقله ، — الى حد ما على الاقل — من نطاق الحياة الجسدية وما اليها من شؤون الحياة اليومية الرتيبة ، الى دائرة الانسانية الواسعة الشاملة حيث عالم الفكر والاحساس والسمو ، ليصح ان ينال آنذاك لقب (انسان) هذا اللقب النبيل الذي يدعيه الكثيرون بيننا زوراً وبهتاناً ، اجل ، نعود لنقول ، اذا نحن اتفقنا على هذا المبدأ ، نود الان ان نجول مسرعين في جوانب حياتنا الخاصة والعامة لنرى الى اي مدى ينعم الفكر ويبلغ الفن اشعاعه الصحيح في كافة نواحي حياتنا الحاضرة.

فنتناول اولا البيت ، فنجد ان القليلين هم الذين يملكون مكتبة بالمعنى الصحيح ، واذا كانت لبعضهم فهي قد تكون اما معرضاً للزينة او طعاماً للعث . اما الموسيقى فليست اسعد حالا من المكتبة الا اذا استثنينا ما تقدمه لنا الاذاعات بصورة خاطفة ، اذ ليست عندنا مؤسسات فنية للدراسة الحقة وليست عندنا (اوبرا) او دار قوية منظمة جديرة بأن تخلق موسيقى من روحنا ومستوحاة من تقاليدنا . واخيراً اللوحات الفنية والتماثيل فهذه اقلها حظاً ، الا ما تكرمت به علينا معامل الغرب من صور الاعلان او بعض مجلاته من الصور الرخيصة ، ولا اتكلم عن فن النحت فهذا ليس له اثر .

هذه هي حال الفنون في البيت ، اما في المدرسة فهي بلا ريب اسوء حظاً من الاول . فالمدرسة خاو من كل معالم الفنون ما ظهر منها وما استتر . فالجدران خالية خاوية حتى من بعض الازهار والنباتات التي تخلق جواً ينضح بالحياة واللون والجمال . وانني لاشفق على الولد ، وانا اتصوره ، يأتي الى المدرسة ويبقى فيها طول نهاره بين وجه معلمه الذي قلما يسمح له خصب منهاج

الدروس الآلي ، بالابتسام ، ثم بين كتابه الاسود والجدران الجافة . اجل اني لاشفق عليه في هذا الجو العابس الخالي من معالم الجمال ، كيف يستطيع الاستمرار في المدرسة والمقدرة على المطالعة ! . . وحري بنا ان نسمي هذا المكان سجناً قاتماً . . .

ثم نعود لنتناول القضية من ناحيتهـا الوطنية : يطالبون من التلميذ ان يحب وطنه وان يغار عليه ويفديه بالمهج . . . هذا شيء جميل هين . . . ولكن خيال الولد الطري لا يلبث بعد قليل ان يتلاشى اذا نحن لم نسعفه بشيء من الاسباب المحسوسة ليستمر هذا الخيال حياً امام عينيه عالقاً في ثنايا نفسه وذلك بان نضع له على جدران صفه لوحات او في الزوايا تماثيـل لبعض رجالنا النابغين وابطالنا البارزين او صوراً لامجادنا الغابرة او مناظر لبلادنا الجميلة . وما اليها مما يحبب الولد ببلاده والاعجاب برجالهـا والتعرف الى جمالها التاريخي والطبيعي .

ولو نحن ذهبنا نتلمس الفنون في الاماكن العامـة ، كدور الحكومة مثلاً لرأيناها اقل من سابقاتها حظاً ، فلا أثر يذكر للفن فيها ، ففي البلاد الراقية انى دخلت وجدت التماثيل واللوحات الفنية تستقبلك في الممرات والصالونات وغرف الرؤساء وكلها قطع فنية تمثل مشاهد مجيدة من تاريخ البلاد في ميدان البطولة والتضحية والظفر والعمل الانساني والعلمي او الطبيعي وما اليها من مظاهر الحياة الانسانية الساميـة . وهكذا نرى ان المواطن يستمر في كافة نواحي حياته متابعاً هذه الذكريات متشبعة نفسه بهذه المفاخر ومترعة بالامجاد والمثل العليا ، فيصبح وطنياً حقاً يمتزج حب الوطن في دمه وفي تضاعيف قلبه . كما ان التربية الفنية لا تنفك متصلة به في ادوار حياته فتصبح عنده ملكة يشب عليها وتتأصل فيـه وهو بدوره يورثها لابنائه ولمواطنيه وبذلك يصبح المجموع محباً للفنون منسجما في فهم الجمال مدركا للحياة متذوقاً لما فيها وهو الى ذلك معجب برجال وطنه ومحباً جمال بلاده .

واذا قلت ان الغربي بلغ من اهتمامه بذلك انه احل الفنون في كافة نواحي حياته ، عدَّ بعضهم ذلك مني مبالغـة وشططاً . فالمكتبات مثلاً تعج بالزائرين الذين يتصفحون ويطـالعون وان راق احدهم شيء اخذ منه حاجته او تابع سيره وقد ارتشف جرعة غذى بها عقله ، كما نأخذ نحن في زياراتنا فنجاناً من القهوة او نمر في سوق الخضار نأخذ حاجتنا .

وعندما اقول ذلك لا ادعي ان القوم في الغرب لا يأكلون او انهم يعيشون بالخيال وعلى ضوء القمر ، انما اعني انهم يجمعون بين غذاء الجسد وغذاء الروح وهـذا هو الانسان الصحيح .

اما الصور والتماثيل في الغرب فيكاد لا يخلو منها مكان ، فهي في المكتب والمطعم والمقهى والمخزن والتيـاترو ودور الحكومة والمدرسة والمعبد وحيثما نزلت وجدت للفن اثرا ناطقاً في لوحة او تمثال او كتاب او قطعة موسيقية او زهرة ناضرة تبسم عن حضارة وعن فكر نير . فالحياة الصحيحة اعني حياة الانسان ، لا تتوقف على لون واحد من النشاط اذ لا بد لها من استكمال كافة نشاطها في شتى الميادين لتأتي تامة شاملة ولتستطيع الاستمرار في التطور وامكانية البقاء . اما اذا نحن نظرنا الى الحياة في نطاقها الضيق من طعام وشراب وملبس وما اليه من الاسباب الضرورية عد هذا تفكيراً متأخرا في دنيا الحضارة والابداع وهو الى ذلك لا يخلق امة ولا يبعث نهضة ولا يبقي حكومة بل يبني قصورا من « كرتون » او « اسمنت » ومطعما كبيرا وبطونا تعيش والعجماوات على صعيد واحد ، وهذه قضية خطرة لامة تعاصر أمماً تفكر وتبدع وتراقب ، وهي تعود بالانسان الى دور الهمجية الاولى ولكن بثياب من قماش مزخرف بدلا من ورق الاشجار والتين

ومما يجدر ذكره ان الفن في العصر الماضي في لبنان كان له شأن وعناية من الطبقات الراقية والاسر الثرية وكان الحكـام والامراء يحيطونه بكل عطف واهتمام ورعاية ، فكانت اللوحات الفنية تزين قصورهم ، كما ان المعابد والاديرة كانت حافلة بالرسوم الدينية الرائعة التي تبعث الرهبة والجلال في نفوس العابدين .

ولم يقتصر الاهتمام على التصوير فحسب بل كان لفن العمارة نصيب وافر منه ، فقد انتشرت في جميع انحاء لبنان القصور الجميلة ذات الهندسة العربية المستوحاة من جمال البلاد وطبيعتها الفتانة فلم تكن مسخاً او تقليدا للذوق الغربي . فكنت ترى نماذج كثيرة منهـا في المدن والقرى على السواء . ولا يزال قصر بيت الدين الشهير مثالا حيا ينطق باهتمام اللبنانيين وامرائهم وحكامهم بالفن الجميل والعمارة العربية ذي الطابع اللبناني ، هذا القصر الذي يعجب به وبعمارة فنه كبار الزوار المتذوقين من الغربيين ، فيخرجون منه كما خرج قديما لامرتين ، وكلهم اعجاب وتقدير للعبقرية والنبوغ . فهل يعود ذلك العهد الذي كان فيه الفن ركنا اساسيا ودعامـة اولى في بناء الحضارة الانسانية بل هل يفسح رجال السياسة عندنا لانفسهم زاوية من حياتهم اليومية ، ليعنوا بالحياة الفنية وتشجيعها ليتركوا اثرا خالدا كبعض تلك الآثار التي خلفها اللبنانيون الاولون ؟

مصطفى فروخ

زورق

لرياض طه

الحب يضحك والشراع يصفِّقُ … والبحر ينظر والنجوم تحدِّقُ
روحان، نحن، على العباب، يقلُّنا … أمل، بزورقنا، وحب مشرق
ويضمنا حضن الشراع كأنه … يخشى على صبٍّ يميل فيغرق ...
وكأننا، في كفه، قيثارة … يلهو بها .. لكنها لا تنطق!

***

خطر النسيم فصافحته ثيابنا … وتململت، نشوى، تموج وترلق
ورأى هوانا فانثنى متهللاً … ومضت يداه بشعرنا تترفق ..
ولموج ناء ذراعه بشراعنا … فارتاح، منهداً، يشع ويبرق
سكرت بنا الدنيا وفاضت بالهوى … حتى كأن الكون قلب يخفق! ...

☆

فراشة القناعة

الآنسة زهرة الحر

مدّي الجناح فراشتي فاربما … حمل الخيال اليّ مدّ جناح
ريان من قبل الشعاع يقلُّه … نسم، وتنهضه يد الاصباح
وعلى نديّ الزهر حط رحاله … دعة، ومال على الشذا الفواح
في غمرة الحب الصراح ونشوة، … الامل المتاح، وفي الصبا الممراح

***

مدي الجناح، فانت جد طليقة … وانا اسيرة رغبتي وطماحي
اني لاقتحم الحياة عنيفة … ابداً فتدفعني يد المجتاح
فاعافها واضج من افراحها … وتعافني وتضج من اتراحي
اجتاحها مذعورة وكأنما … اجتاح معتركا بغير سلاح
حملت عليّ بشدة غلابة … نثرت مناي، وحطمت اقداحي

***

من لي باجنحة ترفرف حرة … حوّامة حول الشعاع الضاحي
تنزو عن الرغبات نزوة هاني، … غنم الحياة بفكره المرتاح

صور

عصر البعث للمكتبات العربية الحديثة

بقلم يوسف اسعد داغر

امين دار الكتب اللبنانية

☆

ربما علم القارىء ما كانت عليه خزائن الكتب ابان التمدن الاسلامي وما تضمنته قماطرها من وفرة المؤلفات في انحاء البلدان العربية والاسلامية . غير ان ماتعاقب عليها من المصائب والاحن من جراء المنازعات بين الفرق الاسلامية الدينية والحريق الذي بليت به من قبل الغزاة والفاتحين والبلاء الذي احاق بها بطول مكثها في الزوايا والدهاليز . كل ذلك ذهب بالسواد الاعظم من تلك الغرر والدرر .

كان القرن السابع للهجرة (الثالث عشر للميلاد) ضربة قاضية . ليس على استقلال الامة العربية وازدهار حضارتها . فحسب . بل على الادب العربي . وخصوصاً على احد مظاهره الرائعة التي تفتح عنها هذا الادب : المكتبات او خزائن الكتب بين خاصة وعامة . فدهى الامبراطورية العربية من المحن و الاحن ما قطع اوصالها ونشر اشلاءها . فقام الامراء والقواد والطامعون في الحكم والسلطان من مغول واتراك وفرس وديلم وعرب، يقتطعون من تلك الولايات ، ما شاء لهم البتر والاقتطاع ،منشئين مما تقع عليه ايديهم من تلك الاشلاء حكومات او سلطانات او خانات او امارات ، تأخذ في الانبساط يوم يبسم لها الحظ فيقيض لها رجالا اشداء ينهضون بالحكم والادارة ، ثم تأخذ في الانقباض والانكماش يوم يهزل القدر ويتجهم الطالع ، وهي كذلك بين سعود ونكود ، او ركود ونهوض الى ان يدول معها الدهر ، والدهر ايام ودول، فتدول تلك الحكومات .

هاجم الامبراطورية العربية ، ابان ذلك العصر ،من الشرق والغرب ، في آن واحد ،عدوان قويان وخصمان عنيدان ، اختلفا مدنية وعقيدة ، استعد كل منهما للهدم والقضاء على القيم والمثل مهما كان شأنها عزيزا غالياً .

فبينما كان مسيحيو اسبانيا يقضمون جنبات الاندلس الخضراء ويسددون الى السيادة العربية فيها ، باسم الدين ، ضربة قاضية على الاسلام في الغرب ، ويستبدلون بالاوضاع والقيم العربية السائدة فيها أوضاعاً وقيماً جديدة ، نزى المغول ، في الشرق ، وهم اقل تطوراً من المسيحيين يعتنقون الاسلام وينصرفون الى نشره ،رويداً رويدا ، وبث الكتاب وروحه . وقد شعرت الدولة المغولية التي نشأت في الهند بعد تقلص ظل المغول عن العراق ، وارتدادهم شرقاً نحو اواسط آسيا ، بحاجتها الى الغذاء الروحي ، فأخذت على نفسها حماية العلوم ونشرها ، الامر الذي ادى اذ ذاك الى انشاء المكاتب الكبرى في تلك الانحاء ، ولا سيا في الهند . فاستطاعوا ان يجمعوا فيها ما تبقى من تراث الثقافة العربية ، في تلك الاصقاع ، بعد ان قضى اجدادهم على الكثير منها يوم سلطهم الله على بغداد فضربها بهولاكو .

وقد حذا حذو المغول الاتراك العثمانيون ،اذ انشأوا في عاصمتهم الجديدة : القسطنطينية ولا سيا في القرنين السادس عشر والسابع عشر ، مكتبات كبرى ، قام معظمها الى جانب المساجد ، خزائن خاصة للسلطان ، اشتهر بعضها بغنى مجموعاتها .

واننا لنرى ، في القرن التاسع عشر يقظة الروح الوطنيه ، في كثير من الشعوب الشرقية ، التي عاشت تحت كابوس الضغط والارهاق ، فتمتد وتتسع في النصف الاول من القرن العشرين ، بعد انتباه الوعي القومي واخذه بالتحسس بامجاد التراث الماضي . وهكذا اخذت شعوب الشرق الاسلامي تخرج من هجعتها او غطيطها سائرة في ذلك على غرار الشعوب الغربية مقتبسة عنها التجدد الفكري

ونظمه العديدة ومنها انشاء المكتبات الحديثة .

وتحمسا منهم بامجاد الماضي العريضة ، اخذ نصراء العلم من الملوك والامراء والسراة الادباء كما اخذ غيرهم من العامة ، بين مستغربين ومستشرقين ، جمع تلك المخلفات الاثرية من ادبية وعلمية وفنية ، وتصيدها من الزوايا والخبايا كالمساجد والجوامع والكنائس والديارات والمدارس ، وعنوا بحفظها وصيانتها وتنظيمها ، فوضعوا لها ولغيرها مما وصلت اليه ايديهم من تلك القيم ، شتى الفهارس والقوائم ، واحيوا معالم الكثير من غرر تلك المخلفات ، بما نشروه من كنوز العلم والادب ، او ترجموه وعالجوه شرحا وتفسيرا وتعليقا وتلخيصا .

وكانت هذه اليقظة وما رافقها من رجعة شعورية قومية ، احدى نتائج حملة بونبرت على مصر ، اذ وقع الفرنسيون بقيادة هذا الفاتح على مصر وفتوحها (١٧٩٧) ثم دخلوا االشام من الجنوب فوقفت أسوار عكا في وجههم وحالت رمالها دون توسعهم ، فانكفأوا عنها خاسرين ولاعلامهم منكسين .

وقد كان لهذا الفتح ، كما قلنا ، هزة تمطت في حنايا الامة العربية الوانا من الاحاسيس والشواعر ، فاستفاقت من سباتها العميق تكلأها رعاية مؤسس الدولة العلوية ، عزيز مصر ، محمد علي باشا الكبير وولده من بعده ، وتغذيها الحركة العلمية الدافقة ، في لبنان ومصر وسوريا من مناهل العلم الكبرى امثال الجامعات والكليات ، بين اجنبية ووطنية ، والبعوث العلمية على اختلافها الى الغرب . وقام فريق من الادباء في هذه الديار ، يمكن للعلم واسبابه واصوله ويدعو للاخذ به وللاكثار من ارتياد حياضه . فعمد العامة والخاصة يدعون في كتاباتهم وعلى صفحات الجرائد والمجلات بعد ان عمت الصحافة واشتد ساعدها وقوي نفوذها ، الى انشاء المدارس وتكوين خزائن الكتب تشبهاً بالجدود واحتذاء بهم ، وجمع المخلفات العقلية والتنقيب عنها في الزوايا والدهاليز المظلمة والتعريف عنها . وجاءت مصر سباقة في هذا المضمار لجميع الشعوب العربية ، وذلك نظراً لصلاتها الوثقى باوروبا ولما تجره هذه الصلات من تفاعل ثقافي وعلمي وفني . فقد كانت اول من شعر بين هذه الشعوب ، بضرورة انشاء دور الكتب ، على غرار المكاتب في الغرب ، وهكذا نشأت المكتبة الخديوية المعروفة اليوم بدار الكتب المصرية ، وعهد بامر أدارتها وتنظيمها ، اولا : الى فريق من مشاهير علماء الاستشراق ، في المانيا : فتولاها ، بالتالي ، سبيتا Spitta وفولرز Vollers وموريتز Moritz . كما دعت الحكومة المصرية المستشرق الايطالي اوجين غريفيني Griffini ، سنة ١٩٢٠ لتنظيم دار المخطوطات السلطانية او الملكية ، في القاهرة . فقام بمهمة خير قيام . ثم عهد اليه المرحوم الملك فؤاد تنظيم وتنسيق مخطوطات القصر في سراي عابدين وقد جمع مديرو دار الكتب ، بفضل عنايتهم وسهرهم ، في المكتبة الخديوية ، عدداً كبيراً من المخطوطات كانت من قبل مبعثرة بين الجوامع والمساجد والتكايا والزوايا ، في القاهرة وفي غيرها من حواضر البلاد الكبرى بينها ما هو نادر ثمين للغاية ، وقد نسقت حسب مقتضيات العلم الحديث ، على كيفية يسر معها الاعتكاف الى درسها ، كما سهل مراجعتها على كل من تحدثه نفسه بذلك .

وقد تمكنت المكتبة ، في عهد المستشرق سبيتا ، اول مدير تولى ادارتها بين امنائها الفرنجة من اعداد رهط جليل من النساخ عرفوا بمهارتهم ودقة خطوطهم ، استطاعوا تأمين نسخ مضبوطة من كل ما تحتاجه هذه الخزانة من المخطوطات ، تسهيلا للبحث العلمي ، في البلاد . ومن ثم الحق بها دار جديدة للتصوير الشمسي تستطيع معه المكتبة المذكورة من تأمين النسخ المرغوب فيها .

والى جانب هذه المكتبة الهامة ، قام في مصر ، مجموعات خاصة ، تولى جمعها فريق من اشهر الادباء واشدهم رغبة في صيانة تراث الاجداد الفكري وتعريفه للملأ العلمي الاعلى ، منهم المرحومان احمد تيمور باشا ، احد علماء مصر الحديثة الاعلام ، وشيخ العروبة المرحوم احمد زكي باشا .

ولم تتأخر القسطنطينية عن الاخذ بهذه الحركة ، اذ كانت اسعد حظا من القاهرة ، فضمت خزائن عدة ، حفلت ، منذ القرنين السادس عشر والسابع عشر ، بالكثير من كنوز التراث العربي القديم وعيون غرره . وكانت اعظم هذه المجموعات موزعة بين المدارس والمساجد يقوم بتعريفها لمن يرغب فيها ، فهرس مطبوع حسب الشرائط الفنية . وهنالك خزائن اخرى كخزانة كربرلي ويني جامع وقبو سراي والحميدية وغيرها ضمت بعضاً من اهم المخطوطات المعروفة . ومنذ تاسيس الجمهورية التركية شعرت الحكومة الفنية ان من اول واجباتها السعي لتحسين صيانة هذه الكنوز الادبية واستكمال وسائل حفظها الفنية ووسائل تيسير الاستفادة منها بجعلها تحت متناول العلماء ، شرقاً وغربا .

اما في لبنان وسوريا ، فقد كان تأثير الغرب فيهما شديدا من هذه الناحية ، ولا سيما في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ،

ففي بيروت ، مثلا ، نرى ، فضلا عن الخزائن الصغيرة التي قامت في كثير من بيوتات العلم والاسر الكبيرة ، مكتبتين شهيرتين قامت الاولى بعناية الآباء اليسوعيين الذين يديرون جامعة القديس يوسف والثانية برعاية الجامعة الاميركية ، فيهما مجموعات هامة جداً نظمت على اصول علمية منتظمة ، وهما من اغنى الخزائن في الشرق والغرب ، تضمان الاصول والامهات الاولية لدراسة الكثير من مناحي التاريخ الشرقي في مختلف اطواره .

وفي دمشق اخذت الحركة العلمية والعناية بخزائن الكتب تنتعشان منذ سنة ١٨٧٠ ، في عهد المصلح الاكبر مدحت باشا اذ يعود الفضل اليه في ايجاد عدد كبير منها (١)

اما في بغداد ، عاصمة الخلافة قديما ، فقد لحق بخزائن الكتب فيها ، اثناء الخمسين سنة التي مرت على العراق قبل العهد الفيصلي تقهقر ذريع بدت طلائعه منذ القرن السادس عشر والسابع عشر اذ تضافرت عوامل شتى كالفيضانات والطاعون وتكالب الاوربيين على تشتيت المخطوطات والعبث بها مما ادى الى تفريقها وتمزيق شملها كل ممزق . ومع ذلك كنا لا نزال نرى ، في سنة ١٩٠٩ ، بعض الخزائن ، تقوم على مقربة من الجوامع . من تلك الخزائن مجموعة الشيخ عبد القادر الجيلاني (٢) . وقد كان للاب انستاس ماري الكرملي ، احد كبار رواد الادب في العراق ورافع لوائه عاليا في بلاد الرافدين ، شأن هام في توجيه هذه الحركة واحياء الادب العربي بابحاثه التوجيهية التي دبجتها براعته السيالة في مجلته الفذة « لغة العرب » فكانت مدة ثمانية سنوات مجلى من مجالي الادب الرفيع ومظهرا رائعاً من مظاهر التقصي العلمي واللغوي البعيد الغور . وقد تمكن هو نفسه من جمع خزانة خاصة ذخرت بأطيب الكتب والمؤلفات بين مطبوع ومخطوط .

وقد كانت اهم المدن في الجزيرة العربية كمكة المكرمة والمدينة المنورة قليلة الحظ على الاجمال بخزائن الكتب . الا ان هذه الخزائن حوت ، على قلتها ، مجموعات ثمينة من المخطوطات النادرة التي عرفت بدقة النسخ وبعضها باقلام الشيخ الشنقيطي والمستعرب لندبرغ Lendberg (٣) .

وعرفت اليمن ، ولا سيأ صنعاء ، بخزائنها ايضا . فتمكن احد التجار الايطاليين المدعو كابروتي Caprotti الذي عرف بسعيه الحثيث لجمع المخطوطات اليمنية من تأمين عدد كبير منها للمكتبة الامبروزيانية في ميلانو . وقد باشر المستشرق الايطالي غريفيني فهرستها الا انه لم يتمها لموته الباكر . ووصلت مجموعة يمنية اخرى الى برلين وغيرها للمتحف البريطاني ، كما وصل مجموعة هامة الى ليدن ومنها الى جامعة برنستون في الولايات المتحدة .

اما الفرنسيون ، في شمالي افريقية فقد وفقوا الى انشاء خزائن في اهم حواضر تلك البلاد من تونس الخضراء الى الجزائر فالمغرب اذ جمعوا في اهم تلك المراكز ، ما كان مبعثراً من المخطوطات هنا وهنالك في زوايا المساجد وخبايا الجوامع . واهم تلك المكتبات التي انشئت بعنايتهم وتحت اشرافهم خزانة

(١) حبيب الزيات : خزائن الكتب في دمشق وضواحيها – القاهرة ١٩٠٢

(٢) Massignon (L.)-Etude sur Les Mss. des Bibl. de Bagdad, . Rev. Monde Musulman , Vol VIII (1910), p.233

(٣) رفعت باشا مرآة الحرمين– القاهرة ١٣٤٤ ج ١ ، ٤٢٢

الجامع الكبير المعروف بجامع الزيتونة ، في تونس ، وخزانة الجامع الكبير في الجزائر وخزانة مدرسة تلمسان وخزانة رباط في مراكش الى غير ذلك من المجاميع الموجودة في جامعة القرويين . وقد كانت مخطوطات بعض هذه الخزائن موضع عناية خاصة من قبل اعلام الاستشراق الفرنسي ، فانصرفوا الى مدارسته ووضعوا له الكشوف واللوائح المفصلة ، شأن المستشرق ليفي بروفنسال الذي نشر ، في مجلدين فهرس مخطوطات خزانة رباط الفتح ، كما نشر غيره دراسات علمية غاية في الدقة عن بعض هذه المخطوطات في المجلة المراكشية هسبريس Hespéris في مجلداتها العشرة .

امـا الهند فلا تزال آخذة بالاعتناء بجانب خزائنها العديدة القائمة في المدن الكبرى ، كمدراس ، مثلا ، وبماي وكلكتا وفي الحواضر الكبرى الاخرى في البنغال والبنجاب ، يساعدها ، في هذا علماء الانكليز . وبهذه العناية تتلاقى من خلال اربعة قرون مجهودات علماء هذا العصر في الهند بمساعي سلاطين الدولة المغولية في القرنين السادس عشر والسابع عشر ، وعنايتهم المشهورة بالادب العربي ، اذ ذاك [٤]

وبالرغم من هذا النشاط وتلك الجهود التي اتينا على وصفها مجملا والتي قام بها الشرق منذ ثمانين سنة ، نرى مع ذلـك ان وسائل صيانة المخطوطات وحفظها وتعريفها ، لا تزال ضئيلة جداً ينقصها الكثير من الاساليب العلمية التي يتذرع بها العلم الحديث في الغرب الآن وهي بعيدة عن ان تفي بالمرام . فاننا نجد عددا جسيما من المخطوطات الفريدة موزعا هنا وهنالك عند الخاصة ، الذين لا يقدرون قدرها الصحيح ، كما يوجـد منها في المدارس والمساجد رهط جليل لا يزال مدفونا ومجهولة قيمته .

ولذا كان من اول واجبـات الدول الناشئة ليس فقط حفظ هذا التراث من المخطوطات من التلف وصيانته من العبث به وتفريقه بل على كل منها ان تجمعه في مكتبة عامة كبرى حيث يصار الى العناية بفهرسته ووصفه بصورة علمية دقيقـة ، فيتمكن القاصي والداني ، على السواء ، من مدارستها عن بعد . وهذا يقتضي بان يقوم تعاون وثيق بين لفيف المستشرقين في الغرب والعلماء الشرقيين فيضعون في خدمة الادب والعلم معلوماتهم الخاصة ومجهودهم المشترك لدراسة تراث الشرق الفكري والادبي كي نتمكن جميعاً من انماء الحركة العلمية التي بدت طلائعها مشرقة مضيئة منذ عهـد قريب فنزيدها اتقادا واشعاعا .

يوسف اسعد داغر

(٤) Bouvat (L) - Les Sociétés ' les Publications officielles et les Bibliothèque de l'Inde ; in Rev. Monde Musulman, vol. VI. (1908) : 599 et suivantes

العناصر النفسية في القومية العربية

بقلم ابو مدين الشافعي

ماجستير في علم النفس من جامعة فؤاد الاول

وسكرتير تحرير مجلة علم النفس



التضحية العربية

لا تظهر وحدة الشخصية في فرد الا اذا برهن على تحمل المشاق في سبيل الانتاج النافع وعرف كيف يمسك نفسه عن الاندفاع في اللذات . وسلوك الفرد كسلوك الجماعة لا يأتي بثمرة الا اذا استطاع ان يحتفظ باتجاه واحد مدة كافية من الزمن . وكما ان سلوك الفرد ينقسم الى سلوك فعال وسلوك رجعي كذلك نجد بعض الجماعات تسلك سلوكاً فعالاً يرمي الى تحقيق هدف معين، وجماعات اخرى تسلك سلوكاً رجعياً لا وحدة فيه ولا انسجام . وبالتضحية وحدها تظهر قوة الشخصية في الفرد وفي الامة . ويكفي ان تثبت لامة مواقف برهنت فيها على مقدرتها على التضحية لنشهد لها بكيان ثابت . وقد عرض الاستاذ عبدالله العلايلي تعاريف شتى للامة قال بها مختلف البحاث الغربيين وانتهى الى تعريف جامع لكل التعاريف التي ذكرها فقال : الامة مجتمع طبيعي من الناس ذو وحدة ارضية واصلية نسبياً و لغوية وعرقية واتحاد مستقبلي فقط في المصالح والحياة ووحدة روحية مثالية وهو خاضع للوجدان الاجتماعي (دستور العرب القومي ص ١٠٣) واعتقد ان هذا التعريف يتلخص في قوله « الامة وحدة روحية مثالية »

وتشهد التضحية في شعب على وجود وحدة روحية مثالية ، اذا استطاع افراد شعب ان يسكتوا مطالبهم الخاصة في سبيل المصلحة العامة وان يضحوا براحتهم في سبيل سعادة الامة . واذا وصل الامر بالقوي الى الموت مدافعاً عن الضعيف قام الدليل على وجود وحدة روحية مثالية لتكوّن امة . وكل العناصر الاخرى وسائل تخدم هذه الغاية وتدفع اليها . ان الارض تساعد على التقارب لتكوين اللغة التي تربط بين الافراد لتبعث بينهم الصلة القوية والتعاطف المتين وكذلك الشعور بالانحدار من اصل واحد واشتراك في مصالح واحدة وغير ذلك من العناصر المشار اليها . ان العرب برهنوا في كل عصورهم الاخيرة على وجود هذه الوحدة الروحية المثالية بالتضحية، رأينا الشعب المصري يقدم ابناء الاقطار الشقيقة في التعليم على ابنائه ويحرم نفسه من مزايا كثيرة ليوفر لهم اسباب الطمأنينة والراحة .

وقام العرب في كل بقعة من اراضيهم مناضلين في سبيل فلسطين واتحد شعورهم واتفقت آراؤهم على مساعدتها مهما كلف ذلك من تضحية في المال والرجال ، ويكفي دليلاً على ظهور التضحية العربية ما صرح به ملوك العرب في اوقات مختلفة عن استعدادهم لحمل السلاح واراقة الدم لانقاذ فلسطين العربية.

ويكفي الشخص ان يبذل اهتماماً ليبرهن على نوع من وجود الوحدة الروحية المثالية في الامة . لان الانانية المطلقة تعوق صاحبها عن التفكير في الغير . والاهتمام بالاخرين يتطلب مقداراً هاماً من التضحية اذ ينسى الشخص نفسه ليذكر غيره . والتعاطف بين اعضاء الامة العربية يقوى يوماً بعد يوم وينتقل من طور القول الى طور الفعل . وتكونت هيئات كبرى ترعى مصالح العرب وتضحي بالمصالح الشخصية لتكون اتحاداً عربياً يضم ابناء العروبة في وحدة روحية مثالية تدعى بالوحدة العربية.

وفي نفس الوقت نرى الاقطار المتجاورة تعمل على الاندماج تحت هيئات سياسية فهذه اقطار شمال افريقيا تميل الى توحيد الجهود والخضوع لهيأة واحدة هي جبهة الدفاع عن شمال افريقيا . كما ان بلاداً عربية اخرى تفكر في الانضمام الى بعضها .

راجع الاديب عدد حزيران ١٩٤٦

ولم تقتصر التضحية العربية على الشعور والمال بل تعدت الى اكثر من ذلك . وبدأت الجزائر في هذه السنة بثورة كبرى قدمت فيها آلافاً من خير شبابها الى الموت وآلافاً الى السجن لتقاوم مشروع ضمها الى الوحدة اللاتينية الغربية وفصلها عن الوحدة العربية . وقامت ثورات اخرى في مراكش وتونس مناهضة لسياسة الاستعمار العاملة على هدم القومية العربية . واثبتت بعض الحوادث الاخيرة في الشرق ان العرب مستعدون لخوض معامع القتال للدفاع عن حقوقهم المشتركة مهما كانت المسافات بعيدة بين الاقطار العربية .

وها هي الدول العربية تصل الى الاتفاق على تضحية سلبية بمقاطعة الصهيونية ويستعد العرب لتنفيذ هذا الاتفاق .

وكل هذه الاعمال الجبارة تقوم على كواهل رجال يضحون براحتهم ويبذلون مجهوداً جباراً لتحقيق اغراض الامة وخلق التيارات النفسية الضرورية لنشر روح التضحية . وبذلت جهود اخرى لاخراج بعض المشاريع من طور الافكار الى طور الاعمال .

واكبر خطر يهدد الامم هو في وجود اشخاص يبيعون قضية الوطن بمكانة اجتماعية او بمال اجنبي — ان طرق الاغراء كثيرة في العالم وهي اولى الخطوات في القضاء على كيان القوميات الضعيفة .

وهذا القدر الذي وصلنا اليه او حافظنا عليه من التضحية مقدار ضئيل بالنسبة الى انواع التضحية التي نراها عند الامم الاخرى ونحن لا نزال في حاجة شديدة الى تنمية روح التضحية في الامة لنضمن لها وحدة اقوى من الوحدة التي نلاحظها الان . ولا يمكننا ان ننشر روح التضحية الا اذا كان لنا أيمان — اذ تسهل التضحية ان كان الشخص مؤمنا باعماله .

الايمان العربي

لاحظ ب . جاني Janet في مقالاته عن سيكلوجية الايمان ان الدين وسيلة للمحافظة على الروابط الاجتماعية في الامة . ويؤيد ذلك ما نلاحظه من اهمية الفكرة الوحدانية في الالوهية التي ادت الى توحيد القضاء بين قبائل كانت تتطاحن وتتحارب فصارت تتضامن وتتعاون . وقد قدمت لنا حالة الامتيازات السياسية في مصر دليلا واضحاً على خطورة الموقف من ناحية الوحدة القومية وكيف كان رجوع كل جالية الى محكمة خاصة سبباً للفوضى والفساد والتفكك الاجتماعي .

وليس صحيحاً ما يتبادر الى ذهن البعض من انه يوجد اختلاف ديني بين العناصر العربية . فان كان هناك خلاف في العقائد فهو خلاف جزئي ولكن اصل الايمان واحد ولذلك يمكننا ان نقول بوجود ايمان عربي يدعو الى اخوة تتجاوز رابطة الدم . وكان لفكرة الاخوة في الايمان دور هام في خلق امة متماسكة العناصر . والايمان يلبي حاجة نفسية يتصل بها اتصالا قوياً حتى ان برغسون ذهب الى القول ان الانسان يخلق عقائده كما انه يخلق افكاره واعماله — وليس العرب في حاجة الى خلق ايمان فلهم ايمان طاهر نشأ في صحراء طاهرة وكونه نضال قوي وامتحنته الشمس المحرقة وصقله الحرمان الشديد .

لا ينكر احد ما قدمه الدين من فوائد كبرى للاجيال العربية المتتابعة . فاليه يرجع الفضل في قيام العرب باعمالهم الجبارة في مختلف ميادين النشاط الانساني . ويقدم الايمان المقدار الضروري من العاطفة لتخرج الافكار الى حيز العمل بقوة فيها اتقان وفيها صبر وفيها طابع الشخصية العربية .

وانا لا نخاف على الجيل العربي الجديد من ناحية العقل كما نخاف عليه من ناحية الايمان . وعلى رجال التربية ان يلاحظوا هذا الضعف الذي قد يتسع ويؤدي بالامة الى الفتور والانفكاك . يجب علينا ان لا ننخدع مندفعين بآرائنا الفردية ونحكم على الايمان حكماً لا يتفق ومصلحتنا القومية . على الخاصة الذين استطاعوا ان يجدوا لانفسهم منابع ممتازة لغذاء العاطفة ان يراعوا السلوك العام . ان تقاليدنا القومية تقتضي اعتبارات اجتماعية لا بد من اخذ حسابها ان اردنا حماية وحدتنا القومية . اننا معرضون لتيارات حزبية عالمية تقوم على الايمان بمبادىء اقتصادية عامة تمس حيوية الشخص وكيانه فلا بد من ان يكون لنا حبل



الاستاذ ابو مدين الشافعي

متين يربط بين عناصر الشعب حتى لا تقضي علينا تلك التيارات العابرة قبل ان نجد الحلول الاقتصادية والسياسية للتخلص منها .

ان الثقافة الفنية ذات الطابع القومي لم تكف وحدها لمقاومة التيارات الحزبية في فرنسا رغم قوة هذه الثقافة التي ظنت فرنسا انها قادرة على الغزو بها فما بالك الدفاع عن وحدة الامة . اننا سمعنا فرنسياً مسؤولا يطعن في الشعور القومي لدى فرنسيين آخرين ناضلوا في سبيل فرنسا وكان ذلك الطعن التاريخي الخطير قائماً على اعتناق المطعون في اخلاصهم القومي مبادىء سياسية واقتصادية عامة .

وليس هناك اي شك في ان للايمان وظيفة مزدوجة من ناحية الفكر الذي تقوم عليه شخصية الفرد ومن ناحية العاطفة التي تستمد منها الامة قوتها ووحدتها — فلن يكون الشخص قادراً على الابتكار والخلق الا اذا كان له ايمان قوي يدفعه الى العمل بروح متجددة لينظر الى العمل كواجب قبل ان ينظر اليه كوسيلة للحصول على غاية جزئية .

وهكذا نستطيع ان نرى الايمان كسلاح قوي نحارب به البطالة وندفع به الشعب الى العمل والانتاج . وكل الاحلام التي يمكن لمصلح اجتماعي ان يحلم بها يستطيع تحقيقها ان كان للامة ايمان يحركها ويقفها به . فالايمان يمكن لنا ان نأذن لشبابنا ان يخالط دون ان يختلط . ان اهم عناصرنا من الشباب مهددة بالتأثر الخارجي . وتوجد ابواق تنتسب الى الثقافة العربية وهي مطايا لثقافات اجنبية تحاول استغلال عقولنا . فهي لا تريد الاعطاء بقدر ما تريد من التشويش والضياع . ليكن الايمان العربي اذن موضع اهتمام رجال التعليم في البلاد العربية قبل اهتمامهم بالفكر الذي قد يقضي على الروح ويقدم لنا اسفاراً ناطقة او آلات تنقل وتذيع دون ان تجرأ على خلق رسالة وان تكونت بذور لها في نفوسهم . فانها غدت لعجزهم عن بذل التضحيات الكافية لتنميتها لا تقاوم التيارات الاجنبية الدخيلة . فلا بد من ايمان ليجرأ رجال الامة المسؤولين على التصريح بآرائهم اذ لا تضحية بدون ايمان وهو الذي يحمل على الصراحة .

الصراحة العربية :

يقول الاستاذ ميشال عفلق : الان تنطوي صفحة من تاريخ نهضتنا العربية وصفحة جديدة تبدأ . تبدأ صفحة الذين يجابهون المعضلات العامة ببرودة العقل ولهيب الايمان ويجاهرون بفكرهم ولو وقف ضدهم اهل الارض جميعاً ويسيرون في الحياة عراة النفوس كما لو كانوا في غرفة نومهم . هؤلاء هم الذين يفتتحون الان عهد البطولة . حياة هؤلاء ستكون خطاً واضحاً مستقيماً لا فرق بين باطنها وظاهرها ولا تناقض بين يومها وامسها . . . انهم قساة على انفسهم قساة على غيرهم . اذا اكتشفوا في فكرهم خطأ رجعوا عنه غير هيابين ولا خجلين ، لان غايتهم الحقيقة لا انفسهم . واذا تبينوا الحق في مكان انكر من اجله الابن اباه وهجر الصديق صديقه . . .

ليست البطولة دائماً في المهاجمة بل قد تكون كذلك في الصبر والثبات وليست الشجاعة في محاربة العدو الظاهري فحسب بل انما هي ايضاً — وعلى الاخص — في محاربة العدو الباطني ، ان يحارب المرء في نفسه اليأس والفتور والشك وحب الراحة .
(الرابطة الشرقية تشرين الثاني ٣٥) .

نجد في هذه الصرخة الروح العربية ممثلة بكل قواها وكل ما تمتاز به من صفاء صريح ومن صراحة قوية . لقد تداول الناس كلمة الاعرابي العامي التي رد بها على عمر عندما قال « من رأى منكم في اعوجاجاً فليقومه » . ان رد العربي على العربي كان دليلا واضحاً على التجاوب النفسي بين اعضاء امة اتحدت عناصرها . ولم يكن هناك فرق بين الحاكم والمحكوم . فالحاكم يتواضع ويقدم نفسه للنقد والمحكوم يشتد ويهدد الحاكم بالعقاب وان كل العوامل التي جاءت تميز بين موقف وموقف وشخص وآخر عوامل تبعد افراد الامة عن التضامن والتعاون . فاست هناك مكانة محتكرة خلقت لها طائفة من الناس لتعامل معاملة خاصة ولتتمتع باحترام خاص وليسمح لها ان تعيش عيشة خاصة وتستطيع ان تخفي اشياء وتدلي باخرى .

ان اهم سلاح ظهر به تشرشل بعد سقوط تشمبرلين هو الصراحة وقال انه سيكون صريحاً مع امته ويطلعها على كل شيء . مهما كان الشخص مخلصاً في طرق الاخفاء فانه ينتهي أخيراً الى موقف خطير على نفسه . وهو حالة الانفصال بين الحكومة والشعب ولا تكون الامة مسايرة حالتها او عالمة بمصيرها . يجد الحاكم نفسه بعد مدة امام مشاكل كان قد اخفاها على الشعب ولا يستطيع التصريح بها دفعة واحدة . كما ان الشعب قد يجد نفسه وحده امام حوادث خطيرة تعجز الحكومة عن حلها ولا تستطيع التصريح بها فتستقيل تاركة الموقف معقداً . ويؤدي ذلك في الغالب الى انفكاك وحدة الامة . ولا يمكن

لهذا السبب اعتبار الدولة اساساً في تكوين الامة ولا تكون عاملا من عوامل التكوين القومي الا اذا كانت هناك صراحة تشبه الصراحة الطبيعية التي توجد بين صديقين . وعلى الحاكم ان يجد الطرق الحكيمة ليطلع بها الشعب على الاحوال الهامة التي تشترك الامة كلها في تحمل مسؤوليتها .

وهناك نوع آخر من الصراحة تحتاج اليه الامة العربية في طورها الحاضر وهو الصراحة بين مختلف اجزاء هذه الامة . ما دام يوجد نوع من التستر والاخفاء يحاول جزء من القطر العربي ان يستعمله مع الاقطار الاخرى فان ذلك دلالة واضحة على انفصال بين القطرين وتباعد روحي يعوق تكوّن الوحدة الروحية المثالية . لان الوحدة الروحية لا تتم بين الصديقين او بين الزوجين الا اذا كانت الصراحة بينهما قوية ، نلاحظ نوعاً من الحياء عند بعض العرب يمنعهم من بث شكواهم من ضعفهم امام اخوانهم العرب .

علينا ان نعمل بكل وسائل النشر والاذاعة على اطلاع العرب على مايجري في بلادهم من حوادث وما يتحملونه من صعوبات في طريقهم الى الحقوق الطبيعية التي قامت الانسانية تريق دماءها من اجلها . فكل محاولة لاخفاء الضعف والتظاهر بالتقدم المزيف غش للقضية العربية وتأخير اسيرها والتقدم نهضتها .

على الجزائري مثلا ان يذكر بكل جرأة حاجته الى تعلم اللغة العربية خاصة والتعلم عامة . فان شمال افريقيا محروم من التعلم وان كنا نعترف بأنه محروم من كل شيء . وكل الذي يعرفه هو انه في حاجة الى الحريات الضرورية لكل انسان وعلينا بعد ذلك ان نخلق في ذلك الشعب العربي بعض الافكار خلقاً وعلينا ان نخنق بعض الميول خنقا – فلا تزال بعض القبائل المغربية في صحراء الجزائر وفي اعلى جبال اوراس والاطلس تميل الى العزلة لتنطوي على نفسها وتعيش في جوها القديم . علينا ان نغزو هذه المناطق لنربطها بباقي اجزاء المغرب علينا ان ننشر اللغة العربية في جبال القبائل والريف وسوس لنقضي على كل اثر للبربرية التي يحاول الاستعمار ان يكوّن منها اقلية يخول لنفسه البقاء في البلاد لحمايتها والدفاع عنها . ان اليد التي تنشر البربرية هي التي تخنق اللغة العربية وتحرم اهل المغرب من دراستها .

علينا ان نعرف انه يوجد في المغرب اشخاص من انصاف المتعلمين يتعصبون للغة التي يعيشون من تعليمها ويحاربون اللغة التي تفضح جهلهم . علينا ان نشعر هؤلاء بضعف شخصيتهم وحقارة طمعهم .

وهكذا نحن في حاجة الى كشف كل الاسرار وبسط كل الحزازات لنتعاون على بتر الداء من اساسه فبالصراحة يمكننا ان نطلع على عيوبنا الطبيعية لنميزها عن الاخطاء التي يوقعنا فيها الغير . ان كانت الحرب العسكرية قد انتهت فان الحرب النفسية، التي لم تعلن، مستمرة وتعمل عملها في الخفاء .

ولا ننسى ان اكبر ازمة يعانيها العالم هي ازمة الثقة . لقد اوقعت الانسانيه نفسها في فخ بعدم الصراحة وكثرة الاخفاء . وقد ادعت حكومات كثيرة الصراحة وانها لم تخف اية نية سيئة ولكن نفس اعلان الصراحة وقت الاخفاء كان أسلوباً جديداً في الدبلوماسية . وكانت النتيجة ان اصبح التفاهم بين الامم مستحيلا وفشلت فكرة التعاون العالمي . ويحق للعرب ان يفتخروا بما عرفوا به من شرف في المحافظة على العهد والبر بالوعد والصدق في القول . ان التطاحن الدولي عم الشعوب وصار يهدد كيانها . وانتشر النزاع بين الطبقات وانتقل الخلاف الدولي الى خلاف اهلي ولا يزال صراخ اسبانيا مرتفعاً مما كابدته من محن . وصل الامر الى ان قتل الاخ اخاه والابن ابنه . فاما ان نروي منهم ونرى هذا الامر هينا ونستعد له واما ان نقوم مدافعين عن السلام في اراضينا ومحاولين نشره في العالم .

ان سعادة الفرد تتحقق بانتمائه الى امة قوية استعد كل افرادها الى ان يضحوا بمصالحهم الخاصة في سبيل الجميع ويشعر كل افرادها بصلة متينة تربطهم بآبائهم وباخوانهم وهذه الصلة روحية مثالية تخلق منهم وحدة بحيث ان الشخص يجد راحة كبرى عندما يصارح اخاه ويبثه همومه وشكواه . وان نحن القينا نظرة تاريخية ونظرة اخرى جغرافية وجدنا العرب اقرب الناس الى الجمع بين هذه العناصر النفسية الثلاثة وهي اكثر الامم استعداداً لان تكون على سعة اراضيها وكثرة عدد افرادها ، امة واحدة تقوم وحدتها على ما تحملته من رسالة خالدة .

« إن رسالة الشباب العربي هي ان يتذكروا قبل كل شيء عروبتهم ، ويعرفوا صفاتها ويستطلعوا اتجاهها ، وان يسيروا خطاهم في هذا الاتجاه ويبعثوا في انفسهم تلك الصفات ، حتى يستطيعوا من بعد بعثها في مجموع الامة . . . »

واما اركان القومية العربية فحديثنا عنها في العدد القادم .

القاهرة

ابو مدين الشافعي



بولس سلامه

لو تحدث المبضع بين يدي الجراحين ، الاساة ، لمجَّ حده القاسي ، قطعاً من الدماء وحبات غالية من المهج ، دماء صديقنا ، ورفيقنا ، بولس ، ومهج شاعرنا المبدع ، صاحب « بنت يفتاح »

لقد اختلف على لحم ودم بولس سلامه ، الاربع عشرة حجة ، موصولة الاثاء ، معقدة الاشباح ، مشبكة الآهات في فراش يكاد هو نفسه ان يكون ، بعد طول السمر والمجالسة ، ضلعاً حرَّى من ضلوع شاعرنا وقاضينا ، المقعد في بيته . ونتساءل اذا ما تأملنه على سريره ، ايهما احق بالشكوى ، وايهما ذاق من آلام صاحبه ماذاق .

كان بولس سلامه عام ١٩٣٠ ، في نعمة العافية ، وشباب القوة ، فاذا بالداء ينسل الى جسده من كل اطرافه ، واذا بمباضع الجراحين الماهرين ، وغير الماهرين ، تتحرك كالمعاول في مرمر الابراج

عشرون عملية ، عشر سنوات مرض بحركة ، وتنقل ، واربع بمرض وتيبس ونفس في هذه الخلايا المتعبة ، ثائرة تتلمس مصاريع الآفاق .

وليس العجب ان يشكو بولس سلامه ، دنياه ، ولكن العجب ان يكون بعد في مكنته تفجر الشكوى ، من اعماق صدره ، وحنجرته ، في هذا النسق الرفيع من الشعر والايحاء ، والتأمل ، والتشجع على الوثوب .

حقاً ان الشاعر شيء من غير هذا المرئي

« الاديب »

يا موتُ يا حلم الخيال النائي   يا صبح أحلامي وحُلوَ رجائي
شوقي اليك أشد من غصص الهوى   وأشدُّ من ولَع الهجير بماء
شوق الصبيَّة نوّرك أكمامها   فتطيبت لصبابة ولقاء
شوق الغريق الى الضياء وقد هوى   متردياً في اللجة السوداء
ضل الوشاة الجاهلون وارجفوا   فدعوك رمز الرعب والافناء
انت الرسول الحق غير مدافع   جلت رسالته عن الالقاء
يا منقذ الضعفاء انك رحمةٌ   محجوبة إلّا عن البؤساء
في كل قطر منك غيث دافق   وصنائعٌ غرٌّ وكف سخاء
ملكٌ مطيته السحاب ونوره   دفق السنا في الانجم الزهراء
نقل الخيال السمح ظل جناحه   وطوافه في الليلة القمراء
ما الموت الا رقدة سحرية   مخضرة الاحلام غب شتاء
أبدية سكراتها ، فنعيمها   امواج لذات ومهد هناء

جريح :

يا موت يا ملك الحنان ظلمتني   وأدرت سمعك عن مرير ندائي
أترى يروقك أن اعيش معذباً   جسدي تمزقه نيوب عياء
داءٌ تخلل في العظام فردّها   فلذاً واشلاءً على اشلاء
سالت على حدِّ المباضع مهجتي   فشفارها مصبوغة بدمائي
وتشابهت مني الجراح فاصبحت   حفراً تضل بها عيون الرائي
وادٍ تقطعه الكهوف كأنما   جسمي الطعين مغاور للداء
جرح ترى أطرافه موصولة   وتكاد تلمح بينها اعضائي
فاذا تحرك عندها قلبي فما   دقاته الا نذير فناء

* * *

وتشيع بي حمىً تهد مفاصلي   وتدب مثل الحية الرقطاء
فأغيب في الكابوس غيبة سابح   في النار بين الحس والاغماء
في عالم الاشباح يغرق خاطري   ويعدني في الظلمة الشنعاء
اهوي الى مثل الجحيم مروّعاً   وأغوص في غمراتِهِ النكراء
تسعى به غبر الاراقم شرعت   انيابها للنهشة النجلاء
تنساب من جيف الى جيفٍ ومن   سوداء فاحمةٍ الى سوداء
أمشي على حمم الصواعق تارة   واخوض طوراً لجة الدأماء
ويح السفينة في الخضم شريدة   فكأنها منعت من الإرساء

* * *

كأسي على الألم الدويّ شربتها   ممزوجة بمرارةٍ ودماء
لم يبق للندمان بعدي قطرة   بالدن في خمَّارة الارزاء
واذا العذاب اللد حلَّ بساحتي   ضيفاً فكيف يكون في الغرباء
إن الشقاء اخي ومؤنس غربتي   بجزيرة مغبرةٍ قفراء

جرداء مرهفة السنان صخورها   وهضابها كالهامة القرعاء
صبحي امرُّ من المساء فعيشتي   موصولة الظلماء بالظلماء
أو آه لو كان الرقاد يزورني   لرضيت من دنياي بالاغفاء
لا يلتقي جفناي الا خلسة   فكأن بينهما قديم عداء

* * *

ألمي يشقُّ على الخيال لحاقه   فيتيه بين البحر والصحراء
هو كُـلّ آهات العصور تجمعت   مروية بمدامع الشهداء
قد كنت دمعاً في محاجر آدم   وبيوم هابيل شهدت نمائي
لم تجر في لُهب الحناجر غصة   إلا عبرت بها مع اللأواء
أيوب، من ايوب؟ ماذا خطبه؟   هو قطرة وانا خضم بلاء
فاذا مررت على الجريح تعوده   فلقد اتيت مدافن الاحياء

الدكتور بدر (١)

قد حال ما بيني وبين منيتي   بدر اطل بليلة دهماء
غمرت اشعته الظلام ومزقت   حلك الدروب ووحشة البيداء
خلق ارق من المدام وطلعة   اندى على قلبي من الانداء
حجبت وداعته الذكاء فعلمه   والعبقرية في غلاف حياء
هل تحجب الفجر السني غلالة   عن اعين الهضبات والاوداء
او يسلب الورد العبير وانما   نفحاته طبن كل فضاء
يصل المريض بفلذة من قلبه   ويريه عطف الام للابناء
ويمرُّ مبضعه مرور الوهم او   مرَّ النسيم على غدير الماء
المجدد الحسن القديم وباعث   الزهو الرميم بمرأة شوهاء
اترى المسيح اعار كفك آية   نسخت سمات القبح عن حواء
تأتيك بالانف الدميم ذليلة   فتعود تسحب مطرف الخيلاء
هذا ارتجال الحسن بعد ذهابه   واعادة الانوار في الامساء
خفيت على الاغريق ريشة مبدع   فتنافسوا في الصخرة الصماء
خلقوا المحاسن في الجماد وانت في   قلب الحياة خلقت فيض بهاء
فنُّ الاغارق لن يعادل نضرة   او رونقاً في مبسم الحسناء
يا بدر ان لم تشفني فسرتي   أني تخذتك كوكباً لمسائي
حسبي وحسب المكرمات فأنها   ما زال يرعاها امير وفاء

ماض سحيق

واهاً لايام الشباب وبهجة   والزهو حين جررت فضل ردائي
تختال في عزم الفؤاد فتوتي   ويُطِلّ من وضح الجبين روائي
يهفو الى الامل المحلق خاطري   ويموج في صفحاته البيضاء

(١) هو الدكتور جورج بدر الجراحي المشهور المتفرد في الجراحة التجميلية

في العالم المجهول يرفل ظله ... ويفتق الاضوا للاضواء
فاذا مشيت مشى الزمان بجانبي ... وتسابقت متع الحياة ورائي
قلب تنازعه الصفاء فيومه ... كأسان كأس هوى و كأس طلاء
يا روضة للامس في وادي الصبا ... طابت على الاغصان والافياء
هل تذكر الارواح اخوان الصفا ... ومجالس الندمان والظرفاء
في كل زر من ورودك نفحة ... منا وانفاس ولمح سناء
هاجت قوافينا العنادل اذ أتت ... تبكي الهوى في الدوحة الغناء
وتقطع الوتر المرنّ فليس في ... م ... الاسماع الا ضجة الندماء
لم يبق من نغم الصبا وفتونه ... إلّا حنين مبهم الاصداء
ذكرى من الماضي السحيق سللتها ... فتخضبت بالدمعة الحمراء

الشاعر والخطيئة .

يا رب ما هذا الوجود تحيطه ... م ... الاسرار مغلقة على الحكماء
ما آدم الا جناح بعوضة ... متقلب في صرصر هوجاء
اوهى من الخيط الضعيف خلقته ... ونفحته برفيقة بلهاء
ظمئت فما بلّ الفرات لسانها ... وتلهبت كتلهب الرمضاء
لم تطفيء الاعناب نهمتها ولا ... م ... الرمان في اغصانه الخضراء
نظرت الى الفردوس نظرة تائه ... في البيد او متحرق بلظاء
ما زال يرديها الطوى ويهدها ... حتى ارقت من وطأة الاعياء
في ظل وارفة الغصون شهية ... حلمت بها بالرمز والايحاء
جاءت صفيتها تدب وأومأت ... فتبسطت حواء للاعياء
وتواثبت فيها الحياة ولوّحت ... رعشاتها بوليمة سمحاء
سرحت اناملها بفضيّ الندى ... وتناولت تفاحة الاغواء
فتفتحت اجفانها فاذا بها ... مع آدم في ذلّة وعراء

* * *

يا مُبدعَ التفاح انت خلقته ... واراك تحبسه عن الفقراء
أكلوا فما ذنب الجياع وطيبه ... ملء الفضاء الطاق والاجواء
يا لاجم الامواج في طغيانها ... هلّا لجمت الجوع في الاحشاء
وكبحت وثاب الخيال لشاعر ... نبضاته مشبوبة بصلاء
من ناضر الاحساس صغت فؤاده ... متلهب الوجدان في الاحناء
متعته بالطيبات فخف من ... سكر الى سكر الى اغواء
ويضله الشيطان فهو مقسم ... م ... الرغبات بين جهنم وسماء
يا رب عفوك فالشراع ممزق ... والبحر رهن الريح والانواء
عناك تقتاد السفينة رحمة ... وتبيت تهديها الى الميناء
يا ملهم العصفور أين غذاؤه ... حاشاك ان تبغي على الضعفاء

صحبي وهل في الصحب الا قلة … حفظوا على دهم الخطوب ولائي
اما الذين حسبت ودهم منى … للقلب في السراء والضراء
فتكشفوا عن غادرين رداؤهم … مكر ولحمته نسيج رياء
لطخوا الصداقة في الجبين فويحهم … من وصم ذات العفة العذراء
لولا بقية ذاكرين لاصبحت … في الارض اخت الغول والعنقاء
قد كنت افديهم باهلي جملة … وبمهجتي لو كان يوم فداء
فاذا بهم والخطب حل بساحتي … لا يذكرون على الزمان وفائي
غاض الوفاء من الصدور فظله … في الناس ظل الجود في البخلاء
امعنت في الاخلاص حتى ملّني … ورجعت والامل المهيض جزائي
واسد سمعي عن مقالة فاجر … قذفت به الاوحال نتن هواء
من عصبة نكس الرقاب كأنها … مخلوقة للذل والاحناء
يتلبسون لكل يوم حلة … فجلودهم اخذت من الحرباء
استغفر الحرباء قد احقرتها … ما قدرهم مع قدرها بسواء
فليهني الانذال ان انوفهم … مشدودة ابداً الى الغبراء
يتسابقون الى الصغار وهمهم … بتسول الالقاب والاسماء
لا يزأر الهر الذي سميته … اسداً ولكن امره لمواء
وعدا البغاث على البلابل فامحت … نغماتها وتبدلت بمكاء
يادهر كم لك في المهازل صفحة … مكتوبة بالعار والاسواء
غمر النفاق سطورها فدعوته … في معجم التضليل فرط دهاء
أتراك يا دنيا الغرور دميمة … شوهاء يسترها صفيق غطاء
كحلت محاجرها وزوّر حسنها … وتمايلت اعطافها لبغاء
ان كان ينعم بالسراب مشرّد … فلينعم الاقزام بالعجفاء
لا فخر للاعداء الا انني … أوليتهم شرفاً بسطر هجاء
ماذا يضير الشمس ان مرت على م … الدمن القباح ومرتع اللؤماء

عود على بدء :

يا موت أقدم ان حكمك عادل … ويطيب للقاضي حكيم قضاء
أقدم تجد ثبت الجنان على الردى … لا يستكين لذلة وبكاء
عالي الجبين فان تخاذل جسمه … فالنفس ويحك في اشد اباء
خلق تعلق بالسماء فلم يهن … يوماً ولم يجبن مع الجبناء
عار من الاثواب جئت وعارياً … أمضي المضي بجبهة شماء
ان امتدح نفسي فعذري انني … أعددت في عام الرحيل رثائي
ألفي على ليل الشقاء طويتها … ويريدني قلبي لابلغ يائي

بولس سلامه

فوائد الثنائية والالسنية

بقلم الاب مرمرجي الدومنكي

احد اساتذة المعهد الكتابي والاثاري في القدس

★

تسبو وتعليل

لا حاجة [1] الى انعام النظر للوقوف على ما يظهر، لاول وهلة، من التضارب والتنافر بين هذه الالفاظ في اللغات السامية عموماً، وفي كل منها خصوصاً.

١ – ان كلمة «برك» تدل اولاً على استناخة البعير. ثم على البركة والتقديس والتسبيح. وذلك في العربية والسريانية والعبرية والحبشية. أما الاكدية فليس فيها من مادة «برك» الا كلمة Birku، بمعنى الركبة. وهي موافقة Burkā السريانية، و Bèrèk العبرية، و Bərk الحبشية، ويقابلها «ركبة» في العربية.

٢ – في العربية والعبرية والسريانية الحبشية، المعنى الثاني لكلمة «برك» كما لمزيدَيه: برَّك وبارك، هو التسبيح والتمجيد، أو تمني السعد والغبطة، في حين ان هذه الدلالة وفروعها غير واردة في الأكدية الا في فعل Kārabu: صلَّى، بارك، عبَد، وقَّر. ثم ان هذا الفعل «كرَب» لا يراد به في بقية اللغات السامية الباقية الا الحرَث والبرَم، ثم الاكتراب أو الاغتمام. فكيف التوفيق بين هذه المتنافرات البعيدة عن المنطق؟ الجواب و بوسيلتنا المألوفة، وسيلة الثنائيَّة والالسنية.

٣ – لتأصيل الالفاظ، هناك قاعدة لازمة الاتباع، وهي الانتقال من الفحاوي المادية المحسوسة الى المدلولات المجردة والمجازية، ومن حياة البداوة الى حياة الحضارة، ومن مزاولة الرعاية والزراعة الى معالجة الصناعات والفنون والعلوم. ومن هذا القبيل، نجد في العربية آلة من انفع الآلات، تبز سائر اخواتها السامية، ان لم نقل اللغات البشرية. نحن العائشين اليوم في عصر التمدن والرقي على اختلاف ضروبه، نكره ماقتين البادية وحياتها البدائية، ونود امكان تطهير معاجمنا من كل الكلم التي يشتم منها رائحة الحياة البدوية، حتى لا يبقى فيها سوى التعابير الحضرية، لا بل العصرية الحديثة، وما نستحدثه منها اتفاقاً مع تيار الرقي المتواصل.

هذا من حيث الروح والذوق العصري. اما نحن، معشر المتخصصين للمعجمية وما ينوط بها من اشتقاق وتأصيل وثنائية وألسنية، فلا نتمالك من الاشادة بفضل اولئك اللغويين الاقدمين الذين قاموا بالرحلات العلمية، قاضين السنين الطوال بين ظهراني اهل الوبر، فجمعوا ذاخرين لنا كل تلك المفردات البدوية الخالية منها الالسن السامية الاخر، التي لم تجمع الا ابان بلوغ اربابها عصر الحضارة. ففقد منها اغلب الاصول الاولية بمعانيها المادية المحسوسة. وفي هذا هو الفضل العميم، فضل اللغة العربية على شقيقاتها؛ والدليل الساطع على قدم الفاظها، مع انها دونت بالكتابة آخر جميعها.

ونتحقق في هذا البحث، كما في ابحاثنا السابقة الكثيرة، هذه الحقيقة الجلية وهي ان في العربية المفتاح النفيس لفك مغاليق كثيرة بين ألغاز المعجميات السامية، وذلك بالرجوع الى الاصل الثنائي الصائن عادة اقدم المدلولات، اي الفحاوي البدائية الفطرية

(١) راجع ص ١٧ من العدد الفائت.

المحسوسة الملموسة .

٤ - فاذا تقرر هذا نقول : ان المادة الثنائية، اصل مختلف هذه المفردات المبحوثة في هذا المقال ، هي «رَكْ» [٢] الذي يقابله الثنائي الآخر «رَقْ»[٣] . وفي كليهما فكرة اصلية هي فكرة الرخاوة واللين والنحافة : ومن ذلك الضعف والخضوع والانحناء والالتواء ، ثم الخفة والقلة ، مادةً وكميةً وقدراً . على ان بجانب هذا المدلول ، ومن مفاعيل القلة والخفة ، جاء في كل من هذين الثنائيين ، حسب المبدأ الفيزائي ، دلالة الارتفاع والارتقاء . لكون الصعود من طبع كل خفيف ، والهبوط من خاصة كل ثقيل .

٥ – من مادة «ركْ» الثنائي صدر الثلاثي «ركع». والركوع الخضوع وطأطأة الهامة. والراكع المنحني . وكل شيء ينكب لوجهه فتمس ركبته الارض او لا تمسها ، بعد ان ينخفض رأسه، فهو راكع . والانخفاض أو الانحناء او الانكباب آتٍ من اللين والرخاوة . [٤] وفي «ركع» جرت الزيادة تذييلاً بحرف العين . وفي «برك»، حدثت تتويجاً باضافة الباء الى «رَكْ» الثنائي . وقد تجلى اول معاني «برك» المادية المحسوسة في الحياة البدوية ، اي حياة رعاية الماشية ومنها الجمال . والجمل مركب البر ، والحيوان العربي الخاص . والحال ان من اظهر اعمال البعير، لا بل من الافعال المتفرد بها ، دون غيره ، الاستناخة : وقد أطلق عليه كلمة خاصة به وهي «برك» . واذ كان فعل البروك او الاستناخة يتم بثني الركبتين ، اي بارخائهما للينهما ، والجثم على الصدر الملتصق بالارض ، اشتقت الالفاظ الدالة على العضو الملتوي عند الجثو على الحضيض من مادة «برك»، الدال ثنائية على الرخاوة فالانطواء . فقالوا في الاكدية Birku ، وفي العبرية Bèrèk ، وفي السريانية Burkâ ، وفي الحبشية Berk ، أما العربية ، فقد جرى فيها القلب ، منذ أقدم الازمان ، فصدر عنه «ركبة» بدل «بركة» ، وان بقي الاصل في كلمة «بركة» وهي كيفية البروك . من ذلك جاء المشتقات في الالسنية السامية . في العربية : برك وابرك البعير : اناخه . ابترك القوم : جثوا للركب فاقتتلوا . استبرك البعير : استناخ . البرك : جماعة الابل الباركة . البركة : الحوض ، لسبب بروك الجمال حوله للشرب . ومن بروك الجمل المستطيل ، دل فعل «برك» على الاقامة والثبوت ، وعلى مواصلة المطر . وفي السريانية Brak : برك جثا ، سقط و Abrek . اناخ . وفي العبرية Barâk : برك ، انحنى . و Bèrekah ، بركة حوض . وفي الحبشية Baraka : ركع ، برك . و Abraka اناخ ، أبرك Astabraka : خر راكعاً .

٦ – على ان الاصل الثنائي «رك» ، والثلاثي «برك» الناجم عنه ، والدال على الالتواء والجثوم – وهو من المعاني العريقة في القدم ، عصر كان الساميون جميعهم رعاة ابل في الصحارى – قد تطور فانتقل الى الفحاوي المجردة المجازية ، فأطلق على الانحناء والسجود مادياً وأدبياً ، اي على الخضوع امام سيدٍ او سلطان ، ولا سيما امام سيد السادات ورب الارباب ، الآله المتعالي . فورد Baraka في الحبشية بمعنى «خر العبد جاثياً على ركبتيه» و Bâraka : جثا وسجد للعبادة ، وسبح ، رنم ، دعا ، بارك ، قدس . وفي العبرية Bârak : صلى ، دعا ، سبح . وفي السريانية Brak و Barrèk ، برك وبارك . وفي العربية : برك وبارك . وفي هذه المفردة ، كما في كلمة «صلاة»[٥] تشمل الدلالة الاولية العمل المحسوس في العبادة، اي الانحناء والخضوع والسجود المتضمن في «برك» . ثم لمرافقة هذا العمل اقوال ، نشأ عن ذلك التسبيح والتمجيد والتبريك، اي الطلب او التمني لكي يتقدس اسم الله فيكرم فيعبد . وكما يكون التبريك من قبل الانسان الى الله كذلك تنزل البركة من الباري على ابن آدم ، اذ يمنحه المنان الخيرات المادية والروحية، والسعادة الزمنية والابدية . فنجم عن هذا بقية المفاهيم المنوطة بالبركة . وكلمة البركة هذه عينها ترد من باب التعاكس ، بمعنى اللعنة في العبرية [٦] كما الامر جار في اللغة العامية ، في بعض البلاد العربية ، في لفظة «رحم» فيقول بعضهم «رحمت» مريداً «لعنت» اجتناباً منه كلمة «اللعنة» السيئة الوقع على السمع .

٧ – أما الاكدية ، فرأينا ان لا لفظ فيها من مادة «برك» الا مفردة Birku : ركبة . على ان الواقع ، على رأينا ، ليس كما يظهر لاول وهلة . فان مادة «برك» موجودة فيها بقسم من معانيها . لكن قد جرى فيها القلب منذ اعرق الازمان قدماً ،

(٢) البستان ، معجم عبدالله البستاني ١ – ٤٣٩ .
(٣) ك . م . ١ – ٨٢٩
(٤) اللسان ٩ – ٢٩٦ ي .
(٥) المعجمية العربية ، تأليف الاب مرمرجي ، ص ٨١١ ي .
(٦) معجم عبري – انكليزي . تأليف Brown ، ص ٩٣١

فاضحت Karâbu . وقد زالت منها الفحاوي الاولية ، فحاوي الحياة البدوية الداخلة فيها رعاية الغنم والبقر والجمال . لان اللغة الاكدية ، عصر دونت ، وكما وصلت الينا في الكتابة المسمارية ، لم تعد لسان بادية ، لكن لسان حضارة وتمدن . ولذا لا نلفي فيها ، كما الحال في العربية ، مناطيق «برك» العائدة الى البعير . فاستمرت فيها المدلولات المجازية الصادرة من «برك» ، كما وقفنا على ذلك في اللغات السامية الاخر . فجآء فيها Karâbu : كاب ، صلى ، أكرم ، تعبد ، مدح ، سبح ، بارك ، وزع ، منح . ومن Karâbu اشتق Kâribu : ساجد ، داع ، متعبد ، مبارك . و Karâbu و Ikribu : صلاة ، بركة . و Kurbânu : قربان ، تقدمة .

٨ – أما المدلولات الاخر لمادة «كرب» ، غير الموجودة في فعل Karâbu الاكدي ، فسبب لا وجودها هو ان Kârâbu مقلوب عن Barâku . أو برك . ومادة «كرب» ليست اصلية فيه . أما أصل مداليها ، في بقية الالسن السامية الاخوات ، ما عدا الاكدية ، فمصدره من الثنائي «كر» [7] المراد به الاعادة : والظاهر احد فحاويه في الفعلين العربيين «كرى النهر» : حفره ، و«كار الارض» حفرها . والحفر يتطلب تكرار العمل . وفي العبرية Kâra : حفر . و Kar خرق . [8] ومن «كر» اشتق «كرب» المعني به ، في العربية والحبشية والسريانية ، اولاً : الحرث اي اثارة الارض وقلبها . وفي ذلك معناه القطع والقص . ومنه في العربية «الكرب» : أصول السعف الغلاظ العراض التي تقطع معه . ثانياً في اللغات الثلاث المذكورة ، يأتي بمعنى : فتل ، برم . وهذا ما يدل عليه «كر» اي الاعادة ، اذ لا يتم الفتل او البرم الا بتكرار عمله بشدة . ثالثاً : جآء «كرب» ، في العربية ، بمدلول : قيد وضيق . وهو نتيجة الشدة . وورد مجازاً بمفهوم : اكترب ، اغتم ، حزن ، شق عليه الامر . اما «كرب الدلو» : جعل عليه الكرب ، فهو مدلول ارتجالي مأخوذ من الكرب ، اي الحبل ، المفتول والمبروم . وكرب وتكرب وكارب ، بمعنى اوشك ودنا هي عين : قرب ، تقرب وقارب ، بابدال القاف من الكاف .

٩ – فلننتخط الان الى كلمة «ركب» . قلنا (في العدد الرابع اعلاه) ان «رك» الثنائي يدل اولاً على الانحنآء والركوع ، اللين والرخاوة . وثانياً على القلة والخفة ، ومن ثم على الارتفاع وركوب الشيء على غيره . لذلك صدر منه «ركب» – وبمعناه «رقب» المشتق من رق ورقي – فمن ثم ورد في عامة اللغات السامية كلمة «ركب» بمدلول الامتطآء وجلوس الشيء على الشيء ، وضعاً ومجازاً . مما يهون معه ادراك ما بين هذه الفحاوي من اللحمة والانسجام . فلا نطيل فيه الكلام ، مجتزئين بتوضيح ما ليس بجلي لاول وهلة .

١٠ – لا يظهر ان «ركبة» العربية ، Rkabtâ السريانية ، و Rekûbah العبرية صادرات من مادة «ركب» . لذا نظنها مقلوبات ، منذ القديم ، عن «بركة» و Burkâ و Bèrèk . ومن مفاهيم Barak الحبشية : الامتلاك والادراك والوجود والاخذ وهذا غير عسير فهمه . لان وجدان الشيء وامتلاكه نوع من ركوبه . كما نقول في العربية : وقفت على الشيء ، اي علوته بالمعرفة ، وهو ضرب من الوجدان والامتلاك العقلي . ومن اقتناء الشيء صدر Merkab : غنه واجرته . كذلك Astarkaba : اجتهد في الشيء واهتم له ، فهو يدل على التسلط عليه وركوبه . و Tarâkaba تلاقوا واجتمعوا ، فيه معنى التراكب . لان الاجتماع التئام تراكب . وبهذه المعناة جآء Rakèb : مجمع ، ملتئم .

اصل كلمة « كروبيم »

طُرح السؤال التالي على « مجلة لغة العرب » « ذات المكانة التي تعز على من رامها وتطول » (سنتها التاسعة ، ص ٣٨٣) :

« مـا اصل كروب التي تجمع على كروبين ، ويجمعها بعضها (بعضهم) على كروبيم وكروبية ؟ »

فاجابت الموقوته الموؤودة بكلام يتعذر نقله كله لطوله ، فنجتزىء بايراد القسم الاول منه ، وهو المهم لجوهر البحث . فدونكه بجذافيره « حسب الامانة العلمية . . . » :

« كروب كلمة سامية من مادة كرب الارض اي حرثها . فالكروب حارث الارض ، يراد به الثور الفحل الذي يتخذ لهذه الغاية . ولهذا جاء الكروب مرادفا للفظ الكبير والقوي والقدير والعظيم . ثم نقل الى قائد المائة . والعبريون اتخذوه بمعنى الملك ، اي الروح غير المنظور الذي قد يتخذ جسما من الاجسام للظهور

(٧) البستان ، لعبدالله البستاني ، ٢ ٢٠٦٩

(٨) المعجمية العربية ، لمرمرجي ، ص ١٨٢ ي .

للبشر خدمة للقدرة الالهية . وقد كان يصور رمزاً الى تلك القوة والسطوة . والكلمة قديمة العهد من ايام الاكديين والشمريين . ثم نقلها عنهم الامم الذين جاوروهم ... » وليراجع الباقي من شاء الاطلاع عليه .

أما نحن فلا نجد سبيلا الى الموافقة على قول الوقوتة الذائعة الصيت . لذا نبسط للقارىء ما لاح لنا فيه الصواب ، استناداً الى ما اثبت العلم الصحيح :

ان كلمة « كروب » غير صادرة عن « كرب » الدال على الحرث . والكروب ليس بالثور ولا بالحارث . ومع كون عمل الحرث من اعمال الثور ، فهو لا يمكن ان يكون الا وصفاً له وقت آدائه هذا الفعل . والحارث ليس بمرادف لاسم الثور مرادفة تجعل معنى الثور معنى الحارث ، ومدلول الحارث مدلول الثور . دع عنك ان لا علاقة بين موقف الكروب وبين حالة الثور الحارث .

« كروب » واردة في كثير من مواطن الكتاب المقدس في نصه العبري .[9] ومنه دخلت في كل اللغات التي نقل اليها ، بصيغة المفرد هذه ، ثم بصيغة الجمع العبري « كروبيم » ، الذي يقابله في العربية جمع المذكر السالم ، مع ابدال الميم بالنون يسبقها واو رفعا ، وياء نصبا وجراً ، في حين ان الجمع العبري يستمر مبنيا على الياء والميم .

عرفنا مما تقدم من هذا البحث ان بين «برك» و « كرب » علاقة وثقى من حيث بعض معانيها ، وان اختلفا في غيرها . وهذه المدلولات المتآخية في كلا الحرفين ، اي Karâbu الاكدي ، و « برك » في بقية الساميات ، هي معاني الصلاة والدعاء والسجود والتبريك والتسبيح والتعظيم ، وزدنا على ذلك ان الفعلين هما بالحقيقة من نجار واحد ، جرى فيه القلب قديما ، فتولد منه Barâku و Karâbu . اما ثنائي « كرب » الدال على الحرث فليس من « رك » المراد به اللين والاغناء والركوع بل من « كر » المطلق على الحفر والقطع بعنف . وكما ابدينا سابقا ، نقول الان ان البركة تأتي من قبل الله الى الانسان ، وتصعد من قبل ابن آدم الى ربه وآلهه . مثال ذلك في التعبير الاكدي

ليبارك الآله مردوخ عملك : (Il) Marduch ana épêshêka likrub:

ليصلوا من اجلك امام الآله شمش : Makhar (Il) Shamash likrubûni-kum:

صلي لاجلي Kurbam – بارك ، ايها الآله : Kurub-ilu:

الآله بارك Ikrub-ilu:

هذا وفي الكتابة الصورية ، التي تولدت منها الكتابة المسمارية ، المدونة بها اللغة الاكدية ، نجد ان العلامة الدالة على البركة التي يمنحها الآله للعباد ، والبركة التي يطلبها العباد من الآله ، قائمة على رفع اليد او اليدين الى قرب الفم . فكما ان الآله يرفع يده اليمنى لا تزال بركته على عبده كذلك يرفع العبد يده او يديه الى فمه لطلب البركة من الاله . لنا مثال على هذا في امتثال الملك حورابي امام الآله شمش حين كان يملي عليه الشريعة . فان يد الملك اليمنى ترى مرتفعة الى قرب فمه .[10] من هذه الحالة جاءت عبارة Mish qâti (رفع اليد) ، او Nish qâta (رفع اليدين) رمزاً عن الصلاة ، اي رمز التضرع والتبريك والشكران في وقت معا .[11]

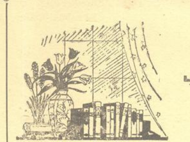
وعلى كرور الازمان ، اصبحت هذه الحالة بمنزلة وظيفة . لذلك اشتق من فعل Karâbu اسم الفاعل Kâribu[12] ، المراد به المصلي ، او المتضرع ، او المبارك . واقيم لهذه الغاية جماعة من الناس اطلق عليهم اسم Karibi . وكان من مهمتهم تمثيل او تقديم المتعبدين المؤمنين المقبلين لاداء فرض الصلاة والتبريك في الهياكل . ولذا كان من العبارات المتداولة هذه التالية Niq Sharré ضحية الملك ، Niq karibi ضحية المؤمن المتضرع والمبارك . كما ورد ايضا Kàrib sharri عبد الملك : و Kârib ili : عبد الآله .

زد على ذلك ان المصلي او العابد كان قد نزل عند الاكديين البابليين منزلة آله وسيط بين الآله الاعظم وبين عباده . ومن هؤلاء الآلهة الثانويين المقامين لتقديم المتضرع البشري ، او النيابة منابه ، كان اثنان ، احدهما يدعى Shêdu ، والآخر Lamassu .[13] وكانت مهمتهما شبيهة بوظيفة الآله Karibu بيد ان هذا الآله الاخير Kâribu كان ادنى منزلة الى الآله الاكبر .

(٩) سفر الخلق ٣ – ٢٤ ، ٢ صموئيل ٢٢–١١ ، اسمو ٤–٦ ، خر ٢٥ ١٨ – ٢٢ ، حزقيال ١٠–١ –٢٠ ، ١١–٢٢ . الخ .

10) G. Cantinau, La civilisation assyro-babylonienne p. 91 ; Ch. Jean, Milieu biblique, vol. III, pl. 46.
11) G.Furlani, La religionebabilonese-assera, vol. II, pp. 285, 294 ; Ch. Jean, op. cit. p. 154 s.
12) Furlani, op. cit. II, p. 335.
13) معجم اكدي – الماني ، تأليف Bezold ، ص ٢٠٦ ي
Furlani, op.cit.II 333, 336 - Ch. Jean, op. cit. II. 38. p.p. 136, 227.

الاديب



☆

– لا يقبل الاشتراك الى عن سنة كاملة بدؤها من شهر كانون الثاني (يناير)

– تدفع قيمة الاشتراك مقدماً وهي :

في لبنان وسوريا : ١٢ ليرة لبنانية

في الخارج : ١٥٠ قرشاً مصرياً او ما يعادلها ترسل حوالة بريدية دولية او حوالة على مصرف في بيروت

– المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر

– لدى الادارة مجموعات من الاديب تطلب بالثمن التالي :

السنة الاولى ١٩٤٢ ٣٥ ليرة او ٤ جنيهات انجليزية

« الثانية ١٩٤٣ ٢٥ « او ٣ «

« الثالثة ١٩٤٤ ١٥ « او ٢ «

« الرابعة ١٩٤٥ ١٥ « او ٢ «

ويحسم ٢٠ بالمئة لمن يطلب الثلاث مجموعات الاولى معاً

☆

ادارة الاديب : باب ادريس ، امـام الكبوشية

تلفون : ٥٣ – ٠٠ – ٨

☆

صاحب المجلة ورئيس تحريرها : البير اديب

سكرتير التحرير : بهيج عثمان

المدير الفني : مختار شمل

☆

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب – صندوق البريد رقم ٨٧٨ بيروت – لبنان

ومن اسمه يستدل على انه كان الوسيط الرسمي .

كل هذا يدفعنا ، كما دفع غيرنا من المتقصين ، الى تحقيق علاقة وثقى بين اسم « كروب » العبري ، واسم Kâribu الاكدي ، والارتياء بان الاسمين من اصل واحد ، وان بين معانيها مطابقة تامة .

صفوة القول : ان « الكروبيم » خلائق روحانية قائمة حول عرش العزة الصمدانية في السماء للتضرع والتوسط والتبريك والتسبيح الدائم . وقد كان لها رموز حسية في قبضة الميعاد وهيكل اورشليم . وقد دعيت باسم يدل على مهمتها وعملها وهو « كروب جمعه كروبيم » ، اي المتضرعون والمتشفعون والمسبحون والمباركون . وقد اخذ العبريون قديما هذا الاسم من الاكديين ــ البابليين عن طريق التقليد ، فاطلقوه على هذه الارواح السماوية ، بعد ان جردوه من كل صبغة وثنية كان مصطبغا بها في الدين الاكدي ــ البابلي .

فاذا تقرر هذا ، انهار ، على ظننا ، الراي السابق ، رأي « لغة العرب الغراء » القائل « بان اصل كروب من كرب الارض اي حرثها وان الكروب حارث الارض يراد به الثور ، وان الكروب مرادف للفظ الكبير والقوي والقدير والعظيم » الخ »

الخلاصة

لقد ظهر من جمهرة الالفاظ التي سردت في هذا الدرس ان التنافر والتضارب ملازم المعاني ، طالما بقيت على الاصل الثلاثي ، وان هذا العيب يضمحل حين تطبق على الكلمات ومشتقاتها ومدلولاتها اصول الثنائية والالسنية » فهذه النظرية وهذه الطريقة اذاً من انفع الوسائل لاصلاح المعجمية العربية ، وتجديد بنائها على اساس المنطقية . واللغويون والالسنيون ذوو العلم والنظر الثاقب لا يتالكون من اداء الشهادة للفوائد الجمة الناجمة عن هذه الطريقة في البحث . فعسى ان ينشأ بين معاشر الشبان طلاب الجامعات ، رجال المستقبل ، فريق يشعرون في نفوسهم بميل قوي يدفعهم الى تذوق هذه العلوم ، فيقبلوا بادىء بدء ، على تعلم مختلف اللغات السامية . فان ذلك شرط لا بد منه ، لمزاولة « الثنائية والالسنية » مزاولة علمية ، تعود بكبير المنافع على لغتنا الكريمة ، عصر نهضتها هذه المباركة .

القدس الاب مرمرجي الدومنكي

من «انفرس» الى شوارع بيروت

«قصة انسان ذهب نصفه في الالم ولم يزل نصفه الثاني على طريق الجلجلة»

« محمد قره علي شاب شق طريقه في الحياة بفطرته ، وسيرته تعد بحق امثولة الذين حالت المادة بينهم وبين تحصيل العلم عـلى مقاعد الدراسة ، فجعلوا الارادة والرغبة والجـد والمثابرة ، تخلق شخصياتهم وتكونهـا ، وتفتح امـامها ابواب الـدنيا المقفلة ، دنيـا الحرف والمعرفـة . ويعد المحرر كتاباً عن سيرة حياته سماه « من وحي الفطرة» نزولا عند طلب رفاق الامس ، من ماسحي الاحذية ، والحمالين ، وبائعي الصحف ، وسكـان الاكـواخ الخشبية ، هـؤلاء الذين خرج مـن صفوفهم المتألمـة ولم يخـرج عليهم . فـكان خيط الالم بينه وبينهم طريـق القلم . وفيما يـلي صورة موجـزة من كتاب «مـن وحي الفطرة» .

حياة مرتجلة تحفل بالجد والكدح . وعمر يبتدىء (عام ١٩١٣) عندما غادر والداه ارض الوطن الى بلجيكا وهو بعد جنين .

في مدينة « انفرس » حيث استقر بهما المقام اطل وجهه على اسارير هذه الدنيا فكان في الاشهر الاولى صيّاحا بكاء تبرم به والداه كل التبرم . ويذكر فيما يذكر مما قيل له ان والده عاد ذات مساء من عمله وما ان وطئت قدماه العتبة حتى دق بكاؤه سمعه فدخل ينتزعه من سريره انتزاعا ويحمله سراعا الى الطبيب في الدور العلوي من بيته وبدلا من ان يشرح له ما ينتابه راح يشرح له ماينتابه هو وامه من ارق وقلق .

ويصدف ان يكون الطبيب وعرسه عاقرين فيلتفت الى الوالد بعد حديث ملي ويقول انا ابتاع منك هذا الطفل واكفل تربيته ومصيره ؟ فسأله ابوه بكم تبتاعه .

فيجيب : بوزنه ذهبا .

وفي لحظة عين حمل ذاك الطفل الى كفة الميزان في العيادة وجرى الحساب بين الدراهم والدنانير وقرر ان قيمته يومئذ (٤٥٠ ل. ذهبية) .

ويضحك الاب وينسى بكاء طفله وصياحه ويقول للطبيب « سنعلفه حتى العـام المقبل » وينتزعه من بين يديه كما انتزعه من السرير ويهرول ؟ ! .

***

كانت امه تنتظر العودة في لهفة وحيرة فيدخل ابوه ويروي الحكاية فتظنها حقيقة واقعة وتنفجر بالبكاء ثم تنتفض فجاءة وتقوم تحزم اغراضها وترتب حقائبها

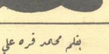
الى اين يا ام محمد

الى حيث توزن الاولاد بحبات القلوب يا ابا محمد

***

... وفي (شباط سنة ١٩١٤) كانت مدخنة الباخرة تمج دخانها في جو بيروت وينزل الى رصيف المدينة رجـل وامرأة وحقائب وطفل واربعماية وخمسون ليرة ذهبا ...

وتشتعل نيران الحرب الصغرى! بعد بضعة اشهر يساق الوالد في القافلة الاولى الى جبهـة القتال ويغيب وجهه في غمرات الخوف وتدور الايام دوراتها الثقيلة ويصبح الطفل بلقمة؟..



بقلم محمد قره علي

ثم تسقط ظلمة الليل عن الارض كلها ويستسلم من يستسلم وينتصر من ينتصر ويتهامس الناس باسماء العائدين من بين شدقي الحرب فاذا بأبي محمد في مقدمه العائدين واذا بصغيره وشقيقته يستقبلانه باليتم وقد أكل الهواء الاصفر امها واقرباءهما وبقيت لهم رحمة الله رحمة لا توزن بالذهب .

ولاول مرة يشعر الطفل ان القبلة التي قبله بها ابوه كانت كالقبلة التي قبلته بها امه : لقد رآها في عينه وعلى شفتيه ! . . . ان امه لمتت . .

***

ها هم الان في (عام ١٩٢٢) في كوخ من اكواخ بيروت الخشبية . والد يبيع في بسطة الشارع ، وصغير خادم في احد الحوانيت وفتاة صغيرة في الكوخ تقوم باعمال امها الكبيرة .

وينتقل الطفل من متجر الى متجر ويدور في سراديب المدينة ويتحدث عنه رفاقه الصغار . ويتهمونه بالبخل والتقتير على نفسه فيبتسم ويسير في طريقه وكأن شيئا غريبا في طي حنايا الغيب ينتظره ، ويقرر الوالد يوما ان مهنة ماسح الاحذية خير من مهنة الخدمة في الحوانيت وفي (عام ١٩٢٥) يشاهد الناس او احذية الناس اذا شئت ـ ولبعض الناس عيون في اقدامهم ـ صبيا يحمل صندوق بويا متطفلا ملحاحا يخلع البكوية والاستذة على المارة خلعا . وتبدأ المأساة ، حقا انها المأساة ، كم من حذاء بهت لونه وكم من جراب تلطخت خيوطه وكم من نهرة قاسية تحملها هذا الصبي ضاحكا هازئا . كثير الاعذار كثير التملق قنوعا يكتفي بما اعطاه ربه . . ان ربك لكريم . .

***

ويأتي من يسر في اذن ابيه ان الحمالين اغنى من ماسحي الاحذية . وينقلب صندوق البويا الى سل كبير من القصب يحمله على ظهره ويغدو يردد في الاسواق زاهيا منتفخا بجدة حمله كما ينتفخ الجواد بجدة سرجه . . « مين بدو عتال . . . امرك ياست . . امرك يا بيك . . . » لقد برع صاحبنا العتال الصغير في الحمل والانحناء والوثب والقفز والانسلال والانزلاق بين صفوف الناس المحتشدة في اسواق الخضار . . ولم لا يبرع ؟ أليست الحياة براعة في الدوران ومهارة في الالتفاف . أليست الحياة مصيدة يقع بها الاحياء كما تقع الذبابات في خيوط العنكبوت ؟

حقا ان خيوط العنكبوت واهية ولكن من تراه ينكر ان الذباب ابو الوخز والنخز يقع فيعلق فينتفض فيعيا فيرفع رجليه استسلاما . .

ثم تمر الايام ويشتهر في مملكة العتالين بسرعة قبوله وشدة امانته على البضائع المشحونة في سله . لم يكن قويا ولكنه كان يتظاهر بالقوة ولم لا يتظاهر ؟ أليست الحياة طلاء خداع يمسح به بنو البشر اسارير وجوههم .

ويسمع ابوه في الحي عنده ان حملة الصحف اكثر ربحا من حملة السلال . وان بائع الورق والكلام اكثر حرمة من ناقلي السلع والخضار ! !

وبين ليلة وضحاها ينقلب صاحبنا العتال المعروف الى بائع صحف (عام ١٩٢٥)

لقد خفت حملته على ظهره وكتفيه وثقلت حملته في حنجرته وقدميه ، كان يغري بالناس لينظف لهم احذيتهم . فأصبح عليه الآن ان يغري بهم ليغرر باخبارهم .

***

الثورة السورية في اجيجها والناس في حيرة والم وخوف وحقد وتمرد وانتفاض بعيد ومستعمر يطعم البطل وجوه الحق ! ؟ واقلام اسلمت جرعة الفاتح لسلاسل الباطل

وبائع صحف متجول ركب قلبه في حنجرته واندفع ينادي نداءات طويلة مثيرة « المعركة الدامية اليوم . . صور المجاهدين . . الف قتيل . . . اندحار العدو . . الحكم بالاعدام . . . المذبحة بالشام . آخر الاخبار . . الخ »

كل هذا يخرج بنفس واحد مديد ، لاينقطع حتى تبلغ الروح التراقي .

ويقع صاحبنا في حيص بيص ، هو امي لا يفرق بين الصحف يطلبون منه « الاوريان » فيقدم لهم البشير ويطلبون البشير فيقدم لهم الاحوال وهكذا دواليك حتى جاءت ذات ليلة يشكي امره الى ابيه ، فيعده بانه سيعلمه في كل مساء حروف الابجدية ليبين الخيط الاسود من الخيط الابيض وبعد بضعة ايام استظهر الاحرف الهجائية استظهاراً غريبا وانصرف يكدح فكره في مطابقتها على اسماء الصحف وعناوينها البارزة ولم يدع لوحة فوق باب متجر الا ووقف امامها ونقل عنها على مفكرته كلماتها ليفكك الغازها ، ولم ير كتابة في الطريق الا وتمرن على تقليدها ، فتحسن خطه ، وقويت معلوماته ، وفي « سنة ١٩٢٦ » فتح الله عليه وغدا يقرأ الكلمة كاملة بحروفها

وفي اوائل (عام ١٩٢٧) انتظمت قراءته الى حد افهام السامع اما هو فكان شأنه شأن من يقرأ التركية ، بالحرف العربي .

منذ هذه البرهة بدأ زملاؤه الباعة يشيدون بذكائه وربما كانوا يروون عنه في سهراتهم « آيات » ذكائه ونبوغه ، ....

ويا له من نبوغ وذكاء في فك الحرف وقراءة العنوان .... وقليل من الحمر يفرح قلب الانسان .

***

وتدور حلقات المصادقة فاذا به يتعرف على انسان «صرفي نحوي» يروي الملح والطرف والاشعار وقصص الجن والمردة ، فينصحه باقتناء القاموس ...

القاموس كما قال له آنذهو الكتاب الذي يعلم «الشعر والادب والعلم وكل ما هب ودب» وذهب الى اول وراق يسأله عن القاموس .

– اي قاموس ؟

– الذي يعلم الشعر والادب والعلم كله . وادرك صاحبنا غباوته ، وقال اجل : انت تطلب لسان العرب . .

هات خمسين ليرة

وطار الولد الى والده وعاد مخذولا ، او منكفئا على لغة الحرب ، ولكن لم تمر بضعة اسابيع حتى كان لديه المبلغ ، والقاموس ، وتناول اجزاءه واحداً واحداً يبحث في طياتها ، طوال الليل ، حتى اذا اطلت تباشير الصباح من خلال اخشاب كوخه يمضي الى عمله شاحب الوجه ساهم الفكر ، يحمل مل‌ء جفنيه اصفرار لسان العرب ، واشباح الآمال المتواثبة .

***

كان لا ينفك وهو يبيع صحفه يتذكر ما قرأ البارحة وما دونه من اسماء للاسد ، والسيف ، والارض ، والسماء وكثيراً ما كان والده ورايته رحمها الله – لهذه الراية صفحات طويلة في مذكراته يكتمها عن نفسه كتبا – يحولان بينه وبين القراءة في آناء الليل . لزعمهم انه يسرف في استعمال الغاز فكان يضطر الى متابعة القراءة في الشارع ليلا تحت مصابيح المدينة يجلس على الرصيف ويستند الجدار حتى تغشاه سنة النوم ، ولا يستيقظ الا عند انبثاق الفجر على جلبة المارة ويتفقد الكتاب الذي يكون بين يديه فاذا هو اثر بعد عين وينتبه في بعض الاسحار فجأة على يد تلامس الكتاب برفق ويتبينها فاذا هي يد الحارس الامين ؟ لقد صدق المثل القديم – حاميها حراميها – وينسل بائع الصحف فجأة الى رواق الاندية يلتهم الاخبار ، ويشاهد الحفلات ، ويحشر نفسه حشراً بين صفوف المقدمين ويذكر فيما يذكر ان ما قيل في وفاة سعد زغلول قد افاده كثيراً لانه استظهر القصائد والمقالات مما اعانه على تفهم الكثير من صور الادب ، و (عام ١٩٣٠) عندما كان في صالة « كوكب الشرق » يبيع صحفه ومغنية تركية تحيي في تلك الليلة حفلة غنائية اذ بعجوز يدخل ووراءه شاب وسيدة . تفرس بالعجوز فاذا هو امير الشعراء شوقي واذا بالشاب ، محمد عبد الوهاب . فطار الى الخادم وقال له هيء نفسك لخدمة «امير الشعراء » .

– حل عنابلا شعر بلا غيره – ولما استقر المقام بالامير حول منضدة دنا منه وعرض عليه صحفه ثم احدق به وقال : الست شوقي بك ؟

– بلى ، أأنت شاعر ! قال : لا ولكنني راوية ، طيب وعرفتني ازاي ؟ من تكرار رسومك في الصحف . وبعد كلمات عابرة لثم يده ، فالتفت امير الشعراء اليه وقال :

– بدري ياسي محمد

– اشكركم يا مولاي

ثم ودع وانصرف كقطعة من الكبرياء والشموخ وعيون النظار الجشعة تتهامس من حواليه في دهشة .

***

ومن هنا بدأ صديقنا حياته ، وتفتحت اجنحة نفسه على دروب الطموح ، واكثر معارفه بين حملة الاقلام ، وعلم لاول مرة ان الحياة ، صعيد واحد ، قسمه المجتمع ، او قل ، تقاليد المجتمع الى مقاطعات ، وان في مكنة الانسان ان يقفز من مقاطعة الى مقاطعة ، بقليل من المغامرة ، وقليل من الجرأة ، والتطفل .

كان بكاء نواحاً فشريداً يتيماً ، فجائعاً ، فخادماً دواراً ، فماسح احذية ، فعتالاً ، فبائع صحف ، فأميا فتعلما يقرأ على ضوء مصابيح الشارع ، فكاتباً ناشئاً ، يوقع المقالات في الصحف السيارة ، فراوية شعر ، واخبار ، فمتطفلا على كل مائدة ، وينتقل (عام ١٩٣١) شوقي الى رحمة الله او قل تنتقل رحمة الله الى قلب شوقي ، فينصرف الراوية الناشيء انصرافه كله الى استظهار ما قيل في صاحب «كرمة ابن هاني»

ثم تمر الايام ، وتحمل اسلاك الموت الفجيعة بفيصل ، فاذا به في تلك اللحظة . يمضي الى محاولة التعبير ، وينظم مقطوعة تنشرها يومئذ «النداء» وما يكاد رفاقه الباعة يطالعون اسمه في تلك الصحيفة حتى يلتفون حوله ، خير التفاف ، ويعقدون الحلقة ، ويسلمونه زمام امورهم ، لقد اختاروه رئيساً لهم ، او

قائداً اذا شئت ، وهم فخورون به فخرهم بانفسهم . لقد خرج من صفوفهم الفقيرة رفيق كبير يحشر اسمه مع الرجالات الكبار .

ويحدث في تلك الاثناء ان تصدر «الاوريان» الجريدة الفرنسية حرفاً ونفساً ملحقاً ، تتحدى به حرمة الموت والعظمة ، فيدعو قائد باعة الصحف زملاءه وما هي الالحظات حتى تتكدس اعداد الجريدة المذكورة في ساحة الشهداء فيصب عليها الكحول وتندلع منها السنة النار .

ويأتي الشرطة ويقتادونه ورفاقه الى الدائرة ، وتمر بضع ساعات ثم يخرج مرفوع الرأس ، عالي العين .

ألم يقم بواجبه فيضرم النار في السنة الباطل ويقف خطيباً في مئة وخمسين من رفاقه ويقودهم الى مكتب الجريدة المذكورة وتوصد عليهم الابواب من الوراء بعد دخولهم ، وتطل مسدسات البوليس وعصيه ، ويسألون عن الغاية ويعان لهم باسم رفاقه انهم جاؤوا يقولون لصاحب الجريدة ، اما ان يعتذر ، في نشرة خاصة ، واما ان يقاطع بيع الصحيفة وتجرى المخابرات ، ويصر باسم رفاقه على تنفيذ قانون المقاطعة مهما كانت النتائج ، وترضخ «الاوريان» للامر الواقع ، أعني للحق ، وتذيع بياناً تعتذر فيه فكان اعتذارها بالنسبة اليه ، اشبه ما يكون بتهجمها ، لقد بطلت الى الابد شهادة المارقين .

ما اجمل الانتصار ، وما اشد وقوعه في النفس فهو ينمي فيها قواها الكامنة ، ويدفعها الى الامام دفع الموجة للموجة ويجدر به ان يقول لكِ انه اصبح مديراً عاماً ذائع الاسم مسؤولا عن باعة الصحف في المدينة ، يخفض الاسعار ، ويرفعها ، ويحيي الصحيفة التي يحب ويقضي على التي يكره .

ثم تتوسع دائرة عمله ويصبح اسمه موقراً عند اصحاب الاقلام واصحاب الامتياز ، اذا حدثت له حادثة نشرت في محلها البارز ، واذا خطرت له خاطرة قوبلت بالاستحسان .

وبين (عام ١٩٣٠ — ٩٣٤) ، يمضي يتنقل في المصايف العالية يسهر على حركة البيع وينظم امرها .

ويحط رحاله (عام ١٩٣٥) في بلدة شتورا ، وشتورا كما يعرف القاري . واسطة العقد في السياسة السورية اللبنانية ، وندوة الرجالات ، والاثرياء ، واصحاب الافراح ، في ظلالها تورق وجوه الحسان ، وترق عواطف الشبان ، وترن كؤوسهم ، وفي افيائها تحبك مؤامرات السياسيين ، وتشبك رغباتهم وآمالهم وتتم صفقاتهم . . . .

وعلى ضفاف نهرها الهادي . يتهامس المصطافون — مع زقزقة الطيور وستسقة الامواه ، ورقة النسيم ، وحنو الغروب ، ويقظة الصباح . في شتورا امسى الفقير الامي جليس الاغنياء المترفين ، ومحدث الباشوات المصطافين ، وسمير الصبايا ، والغوادي ومكاتباً لبعض المجلات الادبية «واستاذاً» . .

ولم لا يصبح لقبه «استاذاً» وقد خلع هذا اللقب بكل سهولة ، على الف زبون من زبائنه عهد كان ماسح احذية .

ولم لا يصبح لقبه «استاذاً» في بلد اساتذته» اكثر من عدد سكانه .

ويذكر في مذكراته ، المخطوطة ، التي يحتفظ بها ، الاخبار الثلاثة التالية :

(نقل هذا الخبر عن الصفحة الستين)

هبط الدكتور محمد حسين هيكل باشا فندق مسابكي في العاشر من شهر تموز ١٩٣٥ وحالما وقعت عينه عليه جهز نفسه بشكل عتاد ليتقدم اليه ، ويتعرف عليه ، ويدنو منه ويسأله اذا كان يرغب في مطالعة الصحف . . . وفجأة ينفتح باب الحديث ويسمح الباشا فيقف معه امام عدسة المصور وتنشر جريدة «الاحرار» صورتهما مع الحديث الذي دار بينهما . . . عن الادب ، والسياسة ، ويتلقى التهاني من كل صوب على هذه الوثبة المباركة .

(نقل عن الصفحة السابعة والسبعين)

في صباح ٢٢ تموز ١٩٣٦ قرع جرس الهاتف في فندق المسابكي من قبل القنصلية المصرية معلنا توجه العالمين الجليلين الاستاذ احمد امين رئيس لجنة التأليف والترجمة بالقاهرة والاستاذ عبدالرحمن عزام وزير مصر المفوض يومئذ في العراق والاقطار العربية فحدثه — نعم حدثه — الياس مسابكي بذلك وما هي الابضع ساعات حتى وصلت سيارة الرجلين الكبيرين فكان في هذه الفترة قد نظم ابياتاً من الشعر واعد نفسه للكلام امامهما . . . وبعد ان مرت بهما فترة الاستراحة دنا منهما مرحباً مهنئاً بسلامة الوصول ثم عرض صحفه ولما اختاروا بعضها . . وشرعوا بدفع الثمن اعتذر اليهما ؟ وهنا انفتح باب الحديث ثم انشدهما الابيات الترحيبية على مأدبة الطعام وحالما انتهيا من تناول طعامهما خفا الى حافة النهر وجلس الى جانبهما ثم بدءا معه حديثاً شجعه على الاسترسال وهو شاكر لهما هذه العاطفة الكريمة . . . وما هي الاساعات معدودات حتى كان

مصور الحديقة قد اخذ لهم رسوماً تذكارية نشر بعضها في مجلتي اللطائف المصورة المصرية والمصور الدمشقية وجريدة الاحرار البيروتية . وقد نشرت الاحرار الرسم يومئذ مع مقال طويل اجتزىء منه هذه الكلمة . والذي نلاحظه بأعجاب ان السيد ... يعرف ان يكسب عطف ادباء مصر كلما اجتمع اليهم ففي العام الماضي نشرنا له رسماً مع الدكتور هيكل باشا ، وها نحن اولاء نراه قد اكتسب صداقة شخصين لهما مقامهما في عالم الادب والسياسة ، فقرباه وتصورا معه ، واتحفاه بالشهادة التالية . . « ساعة سعيدة قضيناها في شتوره فنعمنا فيها بجوها الجميل وهوائها العليل ومائها النمير كما نعمنا بفندقها اللطيف للخواجه مسابكي ، وهبط علينا من حيث لا ندري الاديب... فرأينا فيه بائع جرائد ادب نفسه واوسع علمه ورقى معارفه فكان لنا من كل ذلك ساعة جميلة لا ننساها ووقت لطيف سيبقى ذكراه في نفوسنا مدى الحياة» .

٢٢ تموز ١٩٣٦

عبد الرحمن عزام   احمد امين

(عن الصفحة المئة والثلاثين)

— دنا منه عام ١٩٣٧ مسلماً واذا به يقف امام رجل قصير القامة بدين نفض عنه غبار تسعين حجة ونيف ولم يعلق على همته منها شيء بل رصع هذه السنوات بعلومه الرفيعة وارائه الحرة وخدماته الجليلة في سبيل العرب حتى اضطهد في عهد بني عثمان ولبث منفياً خمسة وثلاثين عاماً في بلاد النيل وعلى الرغم من عمره هذا لا يزال شديد السمع نافذ البصر والبصيرة متفجر اللسان ناصع البيان كريم الشمائل دقيق الخلق اذا سار سار ببطء لا عجزا بل رحمة بمن ينطوي التراب على ذراتهم ، لا تكاد تحدثه عن شيء حتى يندفع كالسيل ، هو علامتنا فارس باشا نمر الذي انشأ المقتطف عام ١٨٧٦ والذي رفض ان يقبل لقب باشا عام ١٩٠٤ لانه لاحظ ان بعض الناس كانوا يسعون لهذا اللقب عن طريق المادة »

***

جميلة جداً هي الذكرى المنبثقة من اعماق الماضي ، الصادرة عن عقبات الجهد ، والمثابرة والتطلع .

جميلة هي الذكرى التي تقل هذا الانسان من زوايا الخمول الى شرفات الشهرة . من الكوخ ، و« بسطة » الشارع وسل الحمالين الى منضدة الخطابة وكرسي الانشاد ، وندوة القادة .

لقد اصبح صاحبنا في مجتمعه ، عضوا حياً بعد ان كان عضوا مزرياً ، ولكن حيوية الحياة لم تضعف عنده بل ظل الدم يدب في اساريره وظلت الاماني تدفع اجنحته ، وراح يتنقل في المنتديات ويغذي نفسه بالقراءة والسؤال والجرأة ، حتى اطل اليوم وله في كل مسألة انف طويل وله في كل ندوة صديق ، لم يعد بائع صحف (منذ ١٩٣٩) ولا ساكن كوخ خشبي . انه الآن رجل مجتمع يفكر ، ويتأمل ويحلم احلاماً بعيدة :

وهو يذكر دائماً انه بدأ عمره في كفة الميزان في مدينة «انفرس» ، على رنين الذهب ، وانه يود ان ينهي عمره في كفة الميزان في مدينة بيروت على خفق القلب ورنين الفكر ، وسيظل كما قال له صديقه الشاعر القروي في كتاب اليه « وسيطاً بين الادباء والشعراء ، يرعى خراف النفس الشاردة ويجمعها الى حظيرة ذهنه ، وقلبه . »

***

اما ابوه فلما يزل الى جانبه . . اما اخته فقد اصبحت اماً . اما هو فقد حمل في قرارة قلبه .. صندوقاً ، وسلاً ، وعربة وملفاً ، واملاً يغمر به جنبات الارض .

***

لن ينسى ماضيه وهو كلما حرك قلمه اليوم ليكتب ، غمسه في ثلاثة وثلاثين عاماً ، لو جسدت في يده لكانت قطعة حرى من الدم والحس .

ان طريق الجلجلة واحدة ، وان اختلفت السبل .

***

ان اكاليل الشوك كأكاليل الورد كلاهما طريق القمة .

***

وبعد لقد مررنا على صوره مروراً عاجلا وهو لم يزل على الدرب يغني اطياف نفسه ويحيا في تلفت ماضيه ، ويتنقل بين الوظيفة والصحافة ودنيا القلم ..

اما متى يستقر لحنه الاخير في سلسلة حياته فذلك في خاطر الغيب ...

اما متى يتم صفحات مذكراته مبوبة مفصلة فذلك في خاطر الغيب ايضاً . .

ولكنه يقول انه لن ينسى ابداً ان يده هي التي بدأت قصة حياته والذين يبدأون قصصهم بأيديهم هم الذين ينهونها بأيديهم ايضاً» .

محمد قره علي

الشاعر شمس الدين الواسطي

بقلم يوسف يعقوب مسكوني

ملاحظ خزانة الكتب في ديوان وزارة المعارف ببغداد

لشعراء واسط مزية بارزة وطابع خاص ، ذلك لانهم امتازوا بمتانة شعرهم وجماله الذي كان معظمه في الغزل والنسيب ومناجاة الحبيب . وقد جمعنا ما تمكنا من جمعه في مجموعة عن هؤلاء الشعراء الفحول والادباء البارزين فذاع صيتهم في الآفاق والبلدان وطلبوهم من مختلف الامكنة . فرحلوا عن واسط الى مدينة السلام ومصر والقيروان والى اقاصي الاندلس وغيرها من المدن العريقة في التاريخ والقدم. وهذا شمس الدين الواسطي احد اولئك الافذاذ الذين ظلمهم عصرهم المظلم الذي ولدوا وترعرعوا فيه فطمست آثاره وامحت مؤلفاته ومآثره فلم تظفر عنه الا باخبار قليلة طفيفة لكنها بالرغم من قلتها فهي تنم عن شخصية فذة حرمها الادب والتاريخ لفقدان مخلفاته الا النزر اليسير الذي لم نجده الا في مصدرين هما فوات الوفيات لابن شاكر الكتبي الذي يعد اكبر من دونوا عنه من شعره الغزلي الجميل . ثم الدرر الكامنة في اعيان المائة الثامنة للعسقلاني وقد قال في ترجمته المقتضبة المختصرة ما ياتي :

« محمد بن القاسم بن ابي البدر المليحي الواسطي الواعظ اشتغل بالفقه والاصول وقرأ القراآت على احمد بن غزال ومهر في الفن حتى نظم قصيدا في القراآت العشر . وكان حسن الصوت بعيد الصيت في الوعظ وانشأ خطبا وقصائد ومدائح ، وخطب ببغداد بالجامع الذي انشأه الوزير محمد بن الرشيد [1] ومات بواسط سنة ٧٤٤ هجرية (١٣٤٣م)

اما ما قاله ابن شاكر الكتبي صاحب فوات الوفيات عنه فهو ما يأتي :— انه محمد بن القاسم بن ابي البدر الملحي لا المليحي وهو الاصح . ولعل صاحب الدرر نقل عنه . ووفاة ابن شاكر تسبق وفاة العسقلاني بـ (٨٨) سنة . قال وتوفي آخر جمعة من شهر رمضان سنة اربع واربعين وسبعمائة للهجرة وقد ناهز السبعين رحمه الله تعالى . فتكون ولادته على قوله اذن سنة ٦٧٤هـ . (١٢٧٥م) او بعيدها . وذكر له شعراً متيناً كلـه غزل وغرام وشوق وهيام فيه الفصيح وفيـه العامي ايضاً لشيوعه في تلك الفترة التي تلت العهود العباسية المنيرة وفي شعره هذا صورة مصورة لذلـك العهد الذي اخذ يميت القرائح ويطفي سراج العالم ويخمد جذوة تلك الاقباس والنباريس التي ظلت متقدة مستنيرة اكثر من ستة قرون . فمن شعره الفصيح في الغزل هذه القصائد المحجلات والقوافي الملائمات قال :—

رعى الله ربعا كنتم فيه جيرتي
وعيشا تقضى معكم يا احبتي
وحيا زمانا كان يجمع بيننا
ونحن جميعا في سرور ولذة
ولا غيرت ايدي الزمان منازلا
نزلتم رباعاً يا اهيل مودتي
ولا اقفرت تلك الديار التي بها
تقضت ليالي انسنا وتولت
اذا ما جرى تذكاركم في مسامعي
جرى دمع عيني فوق صفحة وجنتي
فلله ما احلى قديم حديثكم
واطيب عذري من عشاي وغدوتي

احبـة قلبي اين انسي بقربكم
لقد هدني من بعدكم طول وحشتي
تعجلتم بالبعـد لمـا عرفتكم
فـما وقع التعريف الا اشقوتي
احن اليكم كلما هبت الصبـا
عـلى اثـلات الرقمتين ورقت
ويطلبكم قلبي على البعد والنوى
واين سبيلي بعدكم اين حيلتي
نظرت الى الاحباب يوم وداعهم
فكانت من الاحباب آخر نظرتي
وناديتهم هذا الرحيل متى اللقا
الا خبروني كم على الصبر قوتي
وقات لهم قلبي لديكم وديعة
يسافر معكم فاحفظوا لي وديعتي
عسى تسمح الايام تجمع شملنا
وترجع اوطـاري ولذتي التي
ويطرب سمعي من لذيذ حديثكم
وتنظر عيني الحمى واهلتي

ثم قال في هذا الصدد من قافية اخرى وفيه من النوح والحنين والذكريات ما يجعل السامع يرثي لحاله. ثم يستمر في هـذا الحنين والبكاء والندب حتى يحرك الصخر الاصم فيرق لحاله ثم يبدأ بالعباب كأنه يريد ان يسلي نفسه بهذا اللوم والعتاب وما من مجيب يلبي ندبه ولومه وعتابه فيقول :

انوح اذا الحـادي بـذكركم غنى
وابكي اذا ما البرق من نحوكم عنا
وكيف شكا قلبي تداويت باسمكم
ونعم الدوا انتم على قلبي المضنى
بكم ولهي لا بالعذيب ولا النقـا
وانتم مرادي لا سعـاد ولا لبنى
لقد عاش من انتم من العمر حظـه
ومـات الذي في غيركم عمره يفنى
يلذ لي الليـل الطويل بـذكركم
فـما اطيب الليـل الطويل اذا جنا
احبتنـا اين المـواثيق بيننا
زمـان خلونا بالحمى وتعاهـدنا
ظننـاكم للعمر ذخراً وعـدة
فيا قرب مـا خيبتم فيكم الظنا
سمعتم من الاعـداء قولهم بنـا
ومن اجـل مـا قالوا تغيرتم عنا
تغيرتم عنـا بصحبة غيرنا
واظهرتم الهجران ما هكـذا كنا
واقسمتم ان لا تحولوا عن الوفـا
فحلتم عن العهد القـديم ومـا حلنا
أحبابنا مـا كان اهنـأ عيشنـا
ولكنه ولى كطيف بـدا وهنـا

---

(١) جاء في كتاب تاريخ العراق بين احتلالين ج ٢ ص ٤٦ للاستاذ عباس العزاوي ترجمة شمس الدين محمد بن القاسم هذا منقولة عن كتاب الدرر الكامنة المذكور وفي ص ٤٧ وما بعدها من الكتاب المذكور ان جامع الوزير ببغداد هو جامع الفضل الحالي بقوله : بعنوان « جامع محمد الفضل ومدرسته : مر ان محمد بن القاسم خطب ببغـداد بالجامع الذي انشأه الوزير محمد بن الرشيد .

وقـد فصلنا اخبار هـذا الوزير في المجلـد الاول صفحة ٤٥٢ ، ٤٥٣ واوضحنـا ان ادارته كانت مـن خير الادارات في عهـد المغول . اظهر حمايته للدين اكثر من غيره فلا يبعد ان ينشيء جامعا ولكن المؤرخين البعيدين لم يتعرضوا لاعماله الخاصة في العراق ولم يبسطوا القول في تاريخ هذا الجامع . والمعروف ان هذا الوزير (ترك آثاراً جميلة) ومن اهمها هذا الجامع المشهور بـ (جامع محمد الفضل) ومحمد هو الوزير والفضل والده (فضل الله الخواجـة رشيد الدين) الوزير صاحب جامع التواريخ . اعتاد الناس ان يتساهلوا في اختصار الاعلام فيقولوا محمد الفضل ويريدون محمد بن الفضل . قال المرحوم الاستاذ شكري الالوسي انه (من الجوامع القديمـة في جانب الرصافة . . . وليس على جدرانه من الكتابات المتقدمة ما يعرفنا بمنشيء عمارته : جدده سليمان باشا والي بغداد سنة ١٢١٠ هـ ١٧٩٥ م) الى ان قال (وفي هذا الجامع على ما يقال قبر محمد الفضل فلذلك سمي بجامع الفضل ، وهو على ما ذكر بعضهم ابن اسماعيل بن جعفر الصادق ، ومحمد الفضل والسيد سلطان على اخوان) آه . جـاء في دوحة الوزراء ان الوزير سليمان باشا عمر فيه مدرسة ... والنص المنقول في ترجمة ابن القاسم يعين ان منشيء عمارته هو الوزير محمد بن الفضل ، والقول بان محمـد الفضل هو ابن اسماعيل بن جعفر الصادق (ع) باطل فان محمدا رأس الاسماعيلية والمعروف انه سار الى انحاء مصر ، ولم تكن وفاته في بغـداد ، وانما ينسب الاسماعيلية (الحكومة المصرية الفاطمية) اليه : هذا مع الاشارة ان محمد الفضل لم يكن اخا للسيد سلطان علي واعتقاده قد وضح بانه باني الجامع او موءسسه .

(٢) الدرر الكامنة ج ٤ ص ١٦٣ .

مررنا على اوطانكم بعد بعدكم
فمذ نحن شاهدنا اماكنكم نحنا
ولما تخيلنا جمالكم بها
وقفنا على تلك الديار وسلمنا
سلام على العيش الذي بكم مضى
لما كان اشهاه لدي وما اهنا
ليالي كان الدهر معنا موافقا
فلما نأيتم ما رايت له معنى
لئن عاد ذاك العيش يا سادتي بكم
وعدنا الى تلك الديار كما كنا
غفرت لايامي جميع ذنوبها
وقلت لك الانعام عندي والحسنى

وقال كذلك في بديع الغزل وذكريات الحب فيرثي لحال العاشق الولهان ويصف ما حل به من الم وانين من جراء فراق الحبيب الذي كان كل ما يتمناه في الحياة الدنيا فخاب امله وامتلكه اليأس وتوالت عليه محن الزمن من اجل من كان منتهى السعادة ومنية القلب فيقول : —

بدا البرق من حزوى[1] فهاج حنينه
وهبت صبا نجد فزاد انينه
وغنى له الحادي بايام حاجر
ففاضت بامطار الدموع جفونه
وذكره العيش الذي كان وانقضى
فكاد جوى يطرا عليه جنونه
غريب بعيد الدار فارق اهله
كئيب وحيد بان عنه قرينه
مريض اذا هب النسيم من الحمى
يطيب (به) خفافه وسكونه
تحمل اثقال الغرام وماله
معين على حمل الغرام يعينه
وصان الهوى في قلبه كل جهده
فلما نأى الاحباب بان مصونه
وظن بان الدهر يجمع شمله
بمن يتمناهم فخابت ظنونه
اهيل الحمى بنتم فدمعي مطلق
وقلبي قد ضاقت عليه شجونه
اهيل الحمى لا اوحش الربع فيكم
لقد كنتم للربع زينا يزينه
مررت على الوادي وكان زمانكم
بلابله تشدو وتجري عيونه
فابصرته من بعدكم وهو قد عفا
واقفر منه سهله وحزونه
فناديته اين الذين عهدتهم
هنا وغدير العيش صاف معينه
فقال لي الوادي : نأوا وترحلوا
وهذا فؤادي للتنائي حزينه
فقلت وهل يسخو الزمان بعودهم
فقال لعل الدهر يسخو خؤونه
الى ان يعود الماء في النهر جاريا
تموت به اطياره وغصونه
وكم مات صب بالتوقع والمنى
ولم تقض من خصم الزمان ديونه

---

(١) جاء في مادة حزوى في المجلد الثالث ص ٢٧١ ، ٢٧٢ من طبعة مصر من معجم البلدان لياقوت الحموي ما نصه : — « حزوى : بضم اوله وتسكين ثانيه مقصور . موضع بنجد في ديار تميم . . وقال الازهري جبل من جبال الدهناء مررت به . . . وقال محمد بن ادريس بن ابي حفصة حزوى باليمامة وهي نخل بحذاء قرية بني سدوس . . . وقال في موضع آخر حزوى من رمال الدهناء وانشد لذي الرمة : —

خليلي عوجا من صدور الرواحل ... بجمهور حزوى فابكيا في المنازل
لعل انحدار الدمع يعقب راحة ... الى القلب او يشفي نجي البلابل

. . . وقال اعرابي : —

مررت على دار لظمياء باللوى ... ودار لليلى انهن قفار
فقلت لها يا دار غيرك البلا ... وعصران ليل مرة ونهار
فقالت نعم اين القرون التي مضت ... وانت متفنى والشباب معار
لئن طلن ايام بحزوى لقد اتت ... علي ليال بالعقيق قصار

وقال اعرابي آخر : —

الا ليت شعري هل ابيتن ليلة ... بجمهور حزوى حيث ابتني اهلي
وصوت شمال زعزعت بعد هجعة ... آلاء واسباطا وارطى من الحبل
احب الينا من صياح دجاجة ... وديك وصوت الريح في سعف النخل

قال طابع الكتاب : —

وقيل ان هذه الابيات من جملة ابيات لبنت اخي ذي الرمة وليست لاعرابي كما قال . » ا ه

ولنأت الى وصف ما حل به من الذل والهوان بسبب هجران الحبيب له وشدة استعطافه وتذلله لمن كان غاية الفؤاد ومنيته ومن اورث فراقه وغيابه الاسقام والعلل حيث يقول : —

عبيدك في باب التطفل واقف
اذا لم تجبه انت من ذا يجيبه
غريب عن الاوطان يبكي لذلة
وهل ذاق طعم الذل الا غريبه ؟
فقير من الاعمال انت غناؤه
مريض من الآثام انت طبيبه
تقضت لياليه وفات زمانه
ولم يدر حتى لاح منه مشيبه
غدا خاسرا فالعار يكفيه والعنا
وقد آن من ضوء النهار مغيبه

وآخر قطعة ذكرها له صاحب فوات الوفيات وهي من نظمه الفصيح هذه الميمية التي تتجلى فيها لواعج الحب والغرام والحنين الى الذكريات ويغلب عليها اليأس والقنوط مع الشكوى المرة والالم الممض والوداع الابدي الى غير ذلك من الاحوال التي يعانيها المتيم الولهان قال : —

سلام عليكم هل تراكم علمتم
بما نال قلبي منذ ساعة بنتم
وهل عندكم ما عند قلبي من الاسى
وهل مثل وجدي للفراق وجدتم
ايا سادتي والله عهدي بلذتي
وطيب حياتي منذ كنت وكنتم
ليالي كانت كالنهار منيرة
سهرت بها من طيبها وسهرتم
فلا كان يوم كان آخر عهدكم
وقد اسرع الحادي سحيراً و سرتم
ولا كان يوم فيه خلفت بعدكم
ونحن بوقفات الوداع نسلم
ترحلت عنكم كارها غير طائع
اؤخر اقداما واخرى اقدم
وودعتكم والقلب يأبى وداعكم
وفي كبدي نار الاسى تتضرم
علمت من الايام كل كريهة
ولكن هذا البعد ما كنت اعلم
حرمتم جفوني ان ترى غير شخصكم
كما للذيذ النوم عنها حرمتم
وعيني حرمتم ان تراكم كانما
لقاؤكم طيب وجفني محرم
ولما حدا حادي الفراق بشملنا
وانجدت سرا والاحبة اتهموا
واصبح منكم منزل الانس خاليا
تبين عليه وحشة وهو مظلم
واضمر توديعا له وهو ساكت
ولكن لسان الحال منه يكلم
وقالت لي الاوطان هل عودة بهم
فقلت لها ربي بذلك يعلم

وانشده شخص هذين البيتين في الغزل وسأله ان يزيد عليهما فقال هذه الابيات الثلاثة : —

ايامنا بالحمى حييت اياما
وزادك الله اجلالا واكراما
بالامس قد كنت احلى ما بانفسنا
فما اصابك حتى صرت احلاما

فاضاف عليها : —

يا سادة جرحوا قلبي ببينهم
وحملوه على الآلام آلاما
لله ليلات انس كن لي بكم
عصيت فيهن عذالا ولواما
كانت لنا من عطيات الزمان فما
دامت علينا ولا المعطي لها داما

ثم يختم شعره بهذين البيتين للذين يندم فيهما على فوات عمره وشيبه فيقول : —

لما رات العين بياض الشعرات
فاضت اسفا وقرحتها العبرات
ثم التفتت الى الصبا وهي تقول
قف صل على العمر صلات الاموات

وله موشحات من الشعر العامي من نوع الموال ومن نوع «كان وكان» اللذين كانا مشهورين في ذلك العصر اي العصر الثامن

الهجري ونذكر منها هاتين الموشحتين الجمياتين : —

سكران من الغرام والتذكار بادي القلق
ظمآن الى اهايه والجار حلف الارق
ودعتكم وعبرتي تتـدفق   والقاب بنار وجـده يحترق
ناديت قفوا بالله لي انظركم   هيهات نعود بعـدها نتفق
قد كان تبقى لي من اوطار بعد الرمق
فاسترجع مني بيد الاقدار ما كان بقى
ما اشوقني الى قدوم الغياب   ما اشوقني الى وجوه الاحباب
ان عاد لي الزمان يوماً بهم   لم يبق على الزمان والله عتاب

اما عدد هذه الموشحات التي وردت في هذا الكتاب فهي ثلاث وعشرون قطعة من النوع المذكور ههنا . امـا من نوع كان وكان فقصيدة عدد ابياتها سبعة وعشرون بيتا مع اضافة اربعة ابيات من غير القافية الاولى ومطلع هذه القصيدة العامية : —

دع عنك شرب الهليلج يا من فؤاده به حمى
واترك ذنوبـك اي من يحمل التعذيب

ومنها هذا البيت الذي يذكر فيه بلدين من اعز البلدان عليه اولاهما واسط مسقط راسه وثانيتهما بغداد دار اقامته فقال : —

واسط مقام الفصاحة بغداد دار الاذكيا
وانا فقير حصل لي من كل ارض نصيب

اما الابيات الاربعة الاخرى فمن قافية النون نذكر منها هذين البيتين : —

في اي بطالة وفي اي زمـان
استبدل بالهوى فـلاناً بفـلان
ارجو بدلا هيهات ولى عمري
قد كان من الصبا ومني ما كان [1]

هـذا والذين ذكروه من مؤرخينا الاحياء الاستاذ عباس العزاوي كما نوهنا سابقا واعتبر ان جامع الوزير هو جامع الفضل الحالي . وذكره الدكتور مصطفى جواد في مقدمة كتاب الجامع المختصر لابن الساعي الخازن الذي طبعه الاب العلامة انستاس ماري الكرملي حيث قال : « ... ومنهم شمس الدين محمد بن القاسم الواسطي وقد ادرك القرن الثامن للهجرة ومن نظمه في ذلـك قوله : دع عنك شرب الهليلج ... » ٥١ . [2]

بغداد   يوسف يعقوب مسكوني

---

(١) فوات الوفيات لابن شاكر الكتبي ج ٢ ص ٢٩٥ لغاية ٣٠٣

(٢) الجامع المختصر لابن الساعي ج ٩ ص «د» من المقدمة

اذن . . . فالارض لك !

◆

اذا كنت قادراً على الاحتفاظ برباطة جأشك عندما يفقد الناس من حولك رشدهم ويلصقون التبعة بك وحدك ،

اذا كنت قادراً على ان تتعهد بنفسك في الحـين الذي يجردك الناس جميعهم ثقتهم بك وتعتقد — مع ذلك — انه من حق الناس عليك ان يرتابوا في امرك ،

اذا كنت قادراً على الانتظار دون ان تشعر بالاعياء والملال ،

اذا كنت قادراً على ان تفرط بقواك سعياً وراء البعث ،

اذا كنت قادراً على الا تـدع الحقد يتشبث في نفسك عندما تشعر بان الناس كلهم حقدة عليك والا تتظـاهر في الوقت ذاته بالتسامح والحكمة .

اذا كنت قادراً على ان تحلم دون ان تستعبدك أحلامك ،

اذا كنت قادراً على ان تفكر دون ان تجعل من الفكرة هدفاً لك ،

اذا كنت قادراً على ان تستقبل الفوز والاخفاق بشعور واحد متماثل ،

اذا كنت قادراً على ان ترى السفهاء يشوهون الحقيقة التي نطقت بها دون ان تشعر بثورة تمور في أعماقك ،

اذا كنت قادراً على ان تشهد بعينيك دمار الصرح الذي وقفت لتشييده كل حياتك وان تتقبل هذه المحنة بابتسام ثم تستأنف عملك من جديد بأدوات متعبة نخرة ،

اذا كنت قادراً على ان تجازف بكل ما تملك يمينك فتمنى بالخسران في أقل من طرفة عين ثم تدأب من جديد على الكسب والتحصيل دون ان تتبرم بخسارتك او تندب سوء طالعك ،

اذا كنت قادراً على ان تحمل قلبك وأعصابك وقواك على خدمتك زمناً طويلاً بعد ان يعروها الوهن ويستحوذ عليها الخور فتتماسك وتتجلد مصغياً الى صوت ارادتك المتحفزة ،

اذا كنت قادراً عـلى ان تتنكر لاساءات اعدائك واصدقائك على السواء ،

اذن ... فالارض لك بكل ما فيها وما عليها ، والاهم من هذا كله انك تصبح اذ ذاك رجلاً يا بني !

لكبلنغ   ترجمة : رشيد شقير

مشكلة العمل القومي

بقلم جلال فاروق الشريف

☆

خير حديث هو حديث الفكر والثقافة القومية ، وخير رسالة هي رسالة النقاش المنتج لا النقاش العقيم الذي لا يصل بالمرء الى اي نتيجة يمكن ان ترضي الفكر والمنطق .

وانا اذ ابدأ رسالتي بهذه الكلمة فانما افعل ذلك لاثير قضية اثرتها انت في رسالتك السابقة اذ تقول بانك لا تلوم من يؤمن بان نهضة الامة تقوم على بعث الممكنات الروحية الكامنة فيها ، وكذلك تقول انك تعجب بالذي يؤمن بأن السبيل الى الاصلاح هو السبيل المادي في تحسين الاوضاع الاقتصادية للشعب ، واخيراً تقول انك لا تتصور ان يتطاحن هذان الاثنان او على الاصح هذان الفريقان ويقتتلان على حساب الوطن ناسين ان غايتهم المقدسة هي في انهاضه من كبوته .

الحق ايها الاخ انك اثرت مشكلة قائمة وان لم تكن قد عرضتها كل العرض ، وما تقوله يؤمن به الكثيرون الا ان هذا لا يمنع كونهم قد وقعوا في الخطأ وتورطوا فيه الى حد جعل من خطأهم مشكلة قائمة بذاتها قد خلقت حزبية جديدة ، وكلفت اصحاب الفكرة الصحيحة عناء كشف الغطاء عنها وبيان حقيقتها .

انك لا تلوم الفريق الاول وتعجب بالفريق الثاني لانك تنظر الى الغاية التي تستهدف لها وهي الاصلاح ، الا ان الخطأ الذي تتورط فيه هو انك تؤمن بهذه الغـاية فقط وتعتقد ان النية تكفي لتبرير المبدء والعقيدة فتعرض عن النظر في الحل الذي يقدمه كل منهما لمشاكل الامة ومقدار قربه من الحقيقة او بعده عنها ، هذا المقدار الذي يعين مدى امكان تحقق تلك الغاية .

ان ما تقوله كلام جميل في غاية نبيلة هي ان تعمل جميع عناصر الامة على انهاضها من كبوتها بأن تبذل جهودها في طريق واحد ، وانك لتود لو ترى الامة كلا واحداً لا تجزئة في بنيانها تعمل في اتجاه موحد ، اولا ان هناك مشاكل عميقة ونظرات يجب ان نلقيها بقوة لتنفذ بعمق الى الغاية حتى نستطيع ان نحكم احكاما صحيحة بعيدة عن الاماني التي تظل الى الابد اماني ، وعن الالم من التفرقة الذي يظل ألماً دون ان ينتج فعلا ايجابياً بل هو عامل تفرقة وحزبية جديدة .

ان الامة اذا ارادت النهوض لتخلق لنفسها حاضراً ومستقبلا اقل ما يقال فيهما انهما جديران بماضيها ان يكونا اسمى منه ، لا بد من ان تسير في نهوضها وفق غاية وخطة معينة ، والا فهي تظل متأخراً منحلة في فوضى لا نهاية لها ، ولا يمكنها ان تصبح امة موحدة الكيان ابداً . فاذا اردنا هذه النهضة ارادة صادقة واردنا لانفسنا هذا الكيان السليم لا بد لنا من ان نتساءل مبدئياً عن الخطة التي نحب ان تقوم عليها اسس هذه النهضة المنشودة ؟ من هنا يبدأ الخلاف ومن هنا يبدء النقاش وتفترق الاحزاب وينشأ التطاحن . ان مما لا شك فيه ان لانهيار الامة

سيدي

لا يزال الضالون عن قافلة القومية في صحراء العروبة كثيرين ، وهذا طرف مما اوحت به الي رسالة صديق لم يزل يتخبط في السراب وقد ضل عن الواحة وهو يبحث عن الماء .

انا لفي اشد الحاجة الى ان نعلمهم ابجدية القومية من جديد فلعل الغشاوة تجاب عن ابصارهم .

جلال فاروق الشريف

وتأخرها عوامل ادت اليه ، فمبدأ النهضة هو اكتشاف المرض لان معرفة الداء في نظر الاطباء اولى مراحل العلاج ، ومعرفة عوامل المرض تدفع بصورة غريزية الى مقاومتها وبدء الشفاء . ولاسباب هذا الانهيار حقيقتها التي تدعي جميع الاحزاب انها تمثلها وتتبنى الاصلاحات المنشودة التي بواسطتها يمكن لامة ان تعيد بناءها المفقود وتصلح الانحراف الذي اصاب اتجاهها بنتيجة تلك العوامل الطارئة التي اثرت فيه .

والاحزاب الحقيقية هي تلك التي تكون لها برامج معينة وتتبنى وجهات نظر وفلسفات خاصة تسعى الى تطبيقها لكي تعيد الامة نهضتها وتدفعها في طريق الرقي والتقدم .

والحزب الصحيح هو الذي تنطبق برامجه وفلسفته على حقيقة المرض واسبابه ، وكلما اقترب حزب من هذه الحقيقة او على الاصح كلما اقتربت فلسفته منها، كانت حياته اطول ونجاحه اسرع .

ونحن اذا القينا نظرة شاملة على جميع الاحزاب القائمة في بلاد العالم والتي تسيطر على زمامه وتملك التصرف بمقدراته الفيناها جميعاً ذات برامج ومبادىء مستمدة من فلسفات عامة تشمل الكون وتعتقد انها حقيقته التي لا تتبدل ، وكل ما تقول به هذه الاحزاب من اصلاح مستمد من هذه النظرة الفلسفية الشاملة التي ترتب لمشاكل المجتمع حلا ينسجم معها .

قد تكون كل هذه الفلسفات والاحزاب بعيدة عن معرفة الحقيقة التي تتضمن في نفسها جميع الحقائق الفرعية التي تحل مشاكل المجتمع وآلامه ، الا ان الامر الذي لا شك فيه هو وجود هذه الحقيقة التي يدعي الجميع انهم يعرفونها او يسعون لمعرفتها .

ان جميع الفلاسفة الذين يمثلون هذه الاتجاهات يحيطون الكون بنظرتهم ، ويستقرئون الواقع ويحللون ويركبون ، ويستنتجون ويناقشون الاوضاع الاجتماعية ومجرى التاريخ والاتجاهات المقبلة ، ثم يضعون هذه الفلسفات والنظريات ويعملون على تطبيقها فيقولون مثلا العوامل الروحية ، او الاقتصادية او الاقليمية او الدينية هي التي اثرت على التاريخ وغيرت اتجاهه وانها لا تزال تؤثر وتبدل في اوضاع العالم ، وعلى ذلك هم يبنون صرحاً من المقدمات والنتائج والحلول التي تنسجم مع هذه المبادىء والنظرات، فاذا سلمنا بهذه الغاية وهي اصلاح الاوضاع الاجتماعية الفاسدة ، وبان كل من يتوصل الى حل منسجم فيه ظل من الحقيقة يؤمن بهذا الحل ويدافع عنه ويعتبره الحقيقة المطلقة ، وجدنا ان المقياس الحقيقي لهذه الاحزاب هو في قربها او بعدها عن هذه الحقيقة ، ومقدار احتواء كل منها لها ، فالغاية التي تحدو بهؤلاء لا تكفي لتبرير آرائهم واعمالهم ، ويجب ان لا تنفصل الحلول التي يقدمونها ، لذلك ليس ثمة مجال للقول بان شرف الاصلاح وحبه يمكن ان يوحد بينهم ، لان اساليبهم جد مختلفة جد متباينة ، وليست لاحد منها حياة اذا عاش الاخر لان كلا منها ينفي الاخر ، ووجود احدهما معناه زوال الاخر ، وكل عمل يقوم به فريق من واجب الاخر هدمه ، بل ان هدفه الاصلي هو في دك كل ما يخالفه من اساسه ، لذلك لا مجال لكي يحيا الاثنان معاً بله ان يتفقا . فالقومية مثلا تنفي الاممية ، والعامل الاقتصادي في رأي الكثيرين هو وحده الذي يؤثر في تطور الاجتماعات والتاريخ وليس للعامل الاقليمي اي وجود بجانبه ، فلا مجال في عرف كل من اخذ بأحد الرأيين ، لحياة الفريق العامل بالرأي الآخر ، فالنزاع صريح لا ينتهي الا بانتهاء احدهما ، ولا يزول الا بزواله ، فلا فسحة في عرف كل منهما لكي يعيش الاخر ، ونحن لا نستطيع ان نقول اننا لا نلوم هذا مثلا ، ونعجب بذلك لان لكل منهما رأيه الخاص ، وكل منهما يعمل في سبيل خدمة المجموع ، انه باستطاعة جميع الاحزاب ان تعمل لان لكل منها مبادئها الخاصة وانها جميعاً ترمي الى المصلحة العامة ان هذه الثنائية او هذا الايمان بالتعدد غير صحيح من اساسه .

لا بد من ان تكون هناك حقيقة ، ولا بد من ان يكون لنا موقفنا الخاص من مشاكل امتنا ومن الحلول التي يقدمها الجميع من هذه المشاكل اذا اردنا خدمتها والعمل في سبيلها . فعلينا ان نفتش عن هذه الحقيقة ونتبناها ونجد في العمل في سبيلها ونحكم بالزوال على كل ما يخالفها لان الحقيقة واحدة ، واما ان تكون فلسفة من الفلسفات هي التي تمثلها واما ان تكون باطلة ، فاذا كانت احداهما صاحبة الحق فالاخرى صاحبة الباطل ، والقضية منطقية ، والمتناقضتان لا يمكن ان تكونا صحيحتين في آن واحد بل لا بدان تكون احداهما صحيحة والاخرى باطلة ، ولا يمكن ان تعيشا معاً لان احداهما تنفي الاخرى ، ومن هنا ينشأ ايها الاخ ما يصيبك العجب منه ، هو هذان الخصمان اللذان يتنازعان، ان صراعهما دائم حتى تتم الغلبة لصاحب الحق او ينهار الاثنان لفسادهما والظهور الحقيقة ساخرة جلية .

هذا ايها الاخ الصديق بعض الرد على بعض ما في رسالتك ، اما الاتجاه الصحيح فسيكون بيننا حديث عنه في رسالة اخرى

دمشق جلال فاروق الشريف



☆

العربي لا يكون صعلوكا

لحى الله صعلوكاً ، اذا نال مذقة توسد احدى ساعديه ، فهوّما
مقيماً بدار الهون غير مناكر ، اذا ضيم اغضى جفنه ، ثم برشما
يضن بنفس ، كدر البؤس عيشها ، وجود بها – لو صانها – كان احزما
فذاك الذي – ان عاش – عاش بذلة
وان مات ، لم يشهد لـه النـاس مأتما
بارضك ، فاعرك جلد جنبك ، انني
رأيت غريب القـوم ، لحماً موضّما .

الشيظم بن الحارث الغساني

العربي في سياسته

١

واني امرؤ ، لا آلف البيت قـاعداً
الى جنب عرسي ، لا افرطهـا شبرا
ولا مقسم ، لا تبرح الدهر بيتهـا ،
لاجعلـه قبـل الممات لهـا قبرا
اذا هي ، لم تحصن امـام قبابهـا ،
فليس بمنجيهـا ، بنـائي لهـا قصرا

٢

مـا احسن الغـيرة في حينهـا ، واقبح الغـيرة في غـير حين
مـن لم يزل متهماً عرسه ، مناصباً فيهـا لوهم الظنون
يوشك ، ان يغريهـا بالذي يخـاف ، او ينصبهـا للعيون
حسبك من تحصينهـا ، ضمهـا منك ، الى خلـق كريم ودين
لا تظهرن منك على عورة ، فيتبع المقرون حبل القرين .

ربيعة بن انيف الدارمي

●

عوارف عربية

ليس كالشعر الجاهلي ، مرآة استوت لتنعكس عليها ظلال الطبيعة العربية في انواع من التجسيم المعبر والتجسيد . فاتخذناه وصنوه القريب ، سبيلنا الى استجلائها ، في كل ما لهـا من عارفة نزلت منهـا مثل منزلة المعنى من الحرف ...

فهذا شيظم بن الحارث الامير الغساني – الذي تشرد يوماً واطرحه التشرد مطارحه الجافية ، فتصملك –يرسلها نفثات طبيعة متفطرة ، قد تطيق المكروه على كل الوانه ، الا مكروهاً من شأنـه ان ينعطف فيمس حقيقتهـا .. ولنر اي احساس كان احساسه ، وايـة حفيظة شاعت في جنبات هذا الاحساس :

نراه يدعو بمثل اللعن ، او اللعن الصارخ الفاضح الذي يبدو في كلمة « لحى » ذات اللون الخاص في حس العربي ، على من هانت عليه ذاته ، فبات صعلوكاً منيته ان يصيب ولا يبالي على اية حال ، « مذقة » حفنة من لبن مزيج ، فيمضي في اطمئنـان وفي رضى ، يتوسد عليهـا احدى ساعديه « مهوماً » في شبه اغفاء . فقـد هيض جناحه ، حتى ليس ينكر على من اراده بالهوان . وانـه ليغض من طرفه « مبرشماً » واجماً ، في غلالة اسى بائس منكسر .

وهو يذهب في الذل الى اقصاه ، ضناً بالنفس بالحياة ، ولكن اية حياة هذه ! وقد كدرها البؤس ، وذاب في خيوط لحمتها وسداها . ان نفساً في مثل حياتـه ليست جديرة بتعلقها والامساك عليها ، بل الحزم الكريم في الجود بها في تضحيتها ، هذا الجود الذي هو وحده سبيل صيانتها . الا اف لها حياة تطالع بالذل وتغادر كما تلفظ النواة ، دون ما حان يبكيك او خدن يودعك بالزفرات .

ولكن بارضك ، حيث الناس ناسك ، ومثابة الهوى مثابتك ، كافح وجالد . فليس الغريب الا لحماً عاثت فيه يد الجزار ، على « وضم » دمي ، خشبة الجزار التي يقطع عليها اللحم ..

وهذا ربيعة الدارمي يدخل بنـا الى بيت العربي ، فيرينا لونـاً من سياسته المنزلية الى لون من اخلاقـه في الاسرة . فاذا به عدو الحجر على المرأة ، شديد الكراهية للقيود التي تثقل مذاهبها ، وللاغلال تشد بها حريتها .

فبغيضة اليه سياسة القيود ، التي تتضمن معنى الاتهـام المثير المرهق . على انها سياسة لا تنتهي بمعنى الايجاب في الاخلاق ، بـل بمعنى السلب .. وهـو ينتهي بنتيجتين

العربي في صداقته

١

وخــل ، كنت عين الرشد منه ومستمعاً – اذا اصغى – سميعا
اطــاف بغيه ، فعدات عنــه ، وقلت له : ارى امراً فظيعــا

العربي في شعور الواجب

٢

اني امرؤ ، عافي انائي شركة ، وانت امرؤ، عافي انائك واحد
اتهزأ مني أن سمنتَ وان ترى بوجهي شحوب الحق، والحق جاهد
اقسم جسمي في جسوم كثيرة . . . واحسو قراح الماء والماء بارد

عروة بن الورد

العربي في شعوره بعضوية المجتمع

وما كنت، الا مثل قاطع كفه بكف له اخرى، فاصبح اجذما
يداه، اصابت هذه حتف هذه ، فلم تجد الاخرى عليها ، مقدما
فلما استقاد الكف بالكف ، لم يجد
له دركاً في ان تبينا ، فاحجما
فاطرق اطراق الشجاع ، ولو رأى
مساغاً لنابيه الشجاع ، لصمما .

عبد المسيح بن عدي

العربي في دفاعه عن حقيقته

يا رب ظل عقاب ، قد وقيت بـه
مهري من الشمس ، والابطال تجتلد
ورب يوم حمى ، ارعى عقوته
خيلي اقتساراً ، واطراف القنا قصد

خطيرتين . الاولى : ان السياسة التي تتضمن معنى الاتهام، تتضمن ايضاً معنى الاغراء والتحريض . الثانية : ان المسؤولية الادبية في الشذوذ المسلكي تقع على الرجل في اكبر اقساطها ...

*

وهذا عروة بن الورد يكشف لنا اولاً ، عن وجهة نظر في الصداقة هي انبل ما عرف الطبع الانساني المهذب . هذه النظرة التي اقتبسها في الحديث اسماعيل صبري باشا وابرزها ابرازا آخر قريباً :

اذا خانني، خل وفي ، وعقني
وفوقت يوماً في مقاتله ، سهمي
تعرض طيف الود ، بيني وبينه .
فكسرت سهمي، وانثنيت ، ولم ارم

ويكشف لنا ثانياً ، عن شعور العربي بالواجب الاجتماعي العام . على انه صور هذا الشعور، تصويراً اشتمل على اسمى وارفع نظرة الى الكرم . هذه النظرة التي تقوم على اساس ثنائي : من الاحساس بعضوية المجتمع ، ومن الاحساس بالحق الاجتماعي المتبادل . وقد انتهت به هذه النظرة الى ان الكرم ليس هو احساناً اختيارياً يتصل بالاخلاق والمناقب ، بل هو واجب وواجب جاهد ايضاً يتصل بالحق الاجتماعي العام .. وانظر الى هذه الصورة البالغة الحد في دقة الاداء والتشخيص « اقسم جسمي في جسوم كثيرة » ، فهو لا يسعى للحيازة كي يتملأ ويربو ، بل ليتوزع ويشيع في كل عضو ، ويتصل بدمائه وجوده في دماء الآخرين ووجودهم ...

*

وهذا عبد المسيح بن عدي المعروف بالمتلمس ، يرينا وجهاً آخر من وجوه الشعور بعضوية المجتمع، فهو – وان وتر وان كان هذا الوتر ينعم حفيظته – لم يمش الى ثأره، بل احس بان كفه اصابت كفه ، فلو ثأر واستقاد فانه يعدمها جميعاً . فنهنه من ثورة اعصابه ، واطرق بين سورة الحفيظة واحساسه الواعي ، مثل اطراق «الشجاع» الحية ، الذي لو تسنت له الوثبة لابتدرها .

*

وهذا قطري بن الفجاءة ، يرينا في شخصه مثلاً من حمية العربي في دفاعه عن حقيقته .. فكثيراً ما كان « ظل العقاب » الطائر المعروف [وان كان للبعض فيه معنى آخر] وحده وقاء مهره من لظى الشمس، والابطال في اشد اعتراكهم واجتلادهم ، من عن يمين وشمال .. وكثيرا ما كان يوم دفاع يقذف بخيله في عنت واقتسار كما لو كانت ترعى في ساحته ، واطراف الرماح قاصدة

ويوم لهو لاهل الخفض ، ظل به
لهوي اصطلاء الوغى ، اذ ناره تقد
مشهراً موقفي ، والحرب كاشفة
عنها القناع ، وبحر الموت يطرد
ورب هاجرة تغلي مراجلها ،
صخرتها بمطايا غارة ، تخد
تجتاب اودية الافراع آمنة كأنها أسد ، يقتادها اسد

قطري بن الفجاءة

نحوه من كل جانب .. وكثيرا ما ظلت لعبته التي يلهو بها اصطلاء الحرب المحتدة ، وناره تتوقد بنائثات الشرر ، بينما لهو اهل الخفض والنعمة متع سكرى ونشوات معربدة . ومرقفه مشهود فيها ، والحرب سافرة ، والموت كاللاجة تضطرب وتطرد .. وكثيرا ما كان النهار في « الهاجرة » اشتداد الحر ، ومراجله يفور اوارها ، فيوغل فيها بمطايا مغيرة « تخد » وتسرع ، قاطعة اودية « الافراع » ما تفرع وارتفع من الجبال ، مطمئنة غير مكترثة ، حتى لتحسبها اسوداً يقدمها اسد ..

*

العربي في حلى طبائعه

ما مس رحلي العنكبوت ، ولا جَدَياته من وضعه ، غبر
في النبل ، غرتنا مبينة للناظرين ، كأنها البدر
لا يرهب الجيران غدرتنا ، حتى يواري ذكرنا القبر
لسنا كاقوام اذا كحلت احدى السنين ، فجارهم تمر
مولاهم لحم على وضَم ، تنتاشه العقبان والنسر .

المسكين الدارمي

وهذا المسكين الدارمي يشخص لنا بعضاً من حلى طباعه ، فالعربي انسان تستبد به حركة دائمة متصلة ، فما يمس العنكبوت رحله [كناية جد مستملحة] ، وليست ركبه من مبركه مغبرة . وله غرة ناصعة بمعنى النبل ، تأخذ بالنظر كأنها البدر . وجار العربي لا يرهب وثبته الغادرة ، ما دام في الحياة عرق يضرب وينبض . وليس العربي كاقوام اذا اصيبوا بالجدب والعدم ، استمرأوا جارهم فكان كالتمر في مذاهب مضغهم . وليس العربي يستخذ الضعفاء ولا مرهقهم حتى لينكر عليهم الحق بالحياة ، فيكونوا كاللحم المشقق على الوضم ، تروح به العقبان وتغدو به النسور .

« ابو عبادة »





العقل في الاسلام

للدكتور كريم عزقول – ١٨٠ صفحة – منشورات مكتبة صادر – بيروت

هذا الكتاب الذي بين ايدينا ، ليس يبحث « العقل في الاسلام » بكل عموم هذا التعبير ، كما لم يفته مسه في تخطيطات سريعة ، بيد انها واضحة .

والاستاذ المؤلف برر لنفسه ، هذه الخطة من الاطلاق في العنوان والتحيز بشخصية فكرية في البحث ، بان الشخصية التي اختارها قطباً ومداراً للموضوع كانت القمة المعبرة وحدها . فهي قمة تشد ما انحدر عنها من قبل ومن بعد ، في انفعال وفعل لتتبلور دون ما سواها ، تبلور العدسة في عين هذا العقل الذي اختاره موضوعا للدرس والبيان . وهكذا وجد المبرر في تركيز العنوان على الموضوع ، ليأخذ الطريق من ثم الى شخصية بعينها . تلك هي شخصية الغزالي التي كانت « كموشور » فكري ، متعدد السطوح ملتقي الزوايا ، فهو الفقيه والمتكلم « الجدلي الالهي » والاصولي والمتفلسف والمتصوف . فكان متفرق اتجاهات في محتبك اتجاه ، ومتعدد اوضاع في وضع .

فلم يعد غريبا ان يؤرخ به العقل الاسلامي ، وان ينفذ منه الى صميمه ، الى عقد التفافاته . وبذلك اطمأن الاستاذ المؤلف الى سبيله ، ومضى يتقحم رود الطريق . وهذا الصنيع منه يطوي ملاحظتين :

الاولى : انه من انصار الطريقة التي تؤرخ التاريخ بالاشخاص الذين هم وحدات تاريخية كبرى .

الثانية : ان الغزالي هو الوحدة التاريخية للعقل في الاسلام .

وفي هذه الملاحظة جدة دون ريب وان تكن محلا للتساؤل الطويل . اما ان الغزالي وحدة تاريخية في البناية العقلية المذكورة فهذا ما لا شية عليه ولا شبهة فيه ، واما انه الوحدة التاريخية فيها فذلك ما يظل محلاً للبحث .

والاستاذ المؤلف توكيداً لما جنح اليه يعقد مدخلاً عن «طريق المعرفة في الاسلام قبل الغزالي» ص ١٥ – ٣٤ . فيتناول فيه موقف الفكر الاسلامي قبله من مشكلة المعرفة ، ويبين كيف اتخذ حيالها موقفين اولين : موقف الاثبات الذي تفرع الى اثبات عقلي وهو اما مطلق او مقيد ، والى اثبات لا عقلي وهو اما نبوي او امامي او صوفي . والآخر موقف الشك ، وهو اما فلسفي او شعري . ثم يذهب الى عرض كل من هذين الموقفين فيما تفرعا اليه ، فيوفق توفيقاً بالغاً .

وكان حسناً لو انه استبدل بتعبيره « الاثبات العقلي المطلق والمقيد » تعبير « الاثبات العقلي الخالص والمشوب » . والا فالمتكلمون الذين عناهم كانت طريقتهم في الاثبات العقلي مطلقة ايضاً ، حتى على مقتضى عرض المؤلف نفسه ، وهذا التعبير الخاطيء الذي ذهب في مدى معناه اي في مدى خطئه ، جره الى توهم التناقض عند المتكلمين « فهم من جهة يسندون البراهين العقلية الى العقيدة الايمانية ويقيدونها بها ، ومن جهة اخرى يعلنون ضرورة سند الايمان الى العقل » ص ١٨ .

ومأخذ آخر في هذا الفصل اراني مضطراً الى ذكره ، وهو انه عندما عرض الى الخيام ، اطلقه اطلاقاً في معنى الشك ، دون الاستناد الى شيء وراء الرباعيات التي لا تصلح وحدها لتقويم منهج البحث ، في تحديد موقفه من نظرية المعرفة ، وبين ايدينا طائفة من رسائله الخليقة بان تكون طريقنا اليه ، مثل رسالة[1] حكمة تكليف العباد واجوبة المسائل .

ثم ينتقل الى بحث قيمة العقل وحدوده عند الغزالي ، فيتناول موقفه العام من المعرفة على الاطلاق . على انه يتساءل قبل الخوض في مضماره على ثلاثة انحاء : كيف طلب الحقيقة وسعى وراء المعرفة ؟ . لماذا طلب تلك وسعى وراء هذه ؟ . واي الحقائق طلب ووراء اي معرفة ؟ . فيوفق الى تبين وجوهها وعرضها

ثم يستشرف المؤلف الغاية ، استيعاباً وتحرياً ، ووصفاً وتعليلاً حين يعرضه لنا في قلقه وحدة الظمأ الروحي الذي ساوره واستبد به ، ومراحل هذا القلق وهذا الظمأ ، وكيف انتهى اخيراً الى

(١) هما مطبوعتان ضمن مجموعة فلسفية بعنوان جامع البدائع طبعة مصرية لناشرها زكي فرج الله الكردي .

الخروج . على انه تهدى خلال ذلك الى ملاحظات واستنتاجات تؤلف رأياً جديداً في درس الغزالي ، وهو فوق كونه جديداً جاء دقيقاً ومحققاً ايضاً .

ورغم الاعجاب الذي خامرني واتصل بي ، وانا اساير المؤلف في انتقالات بحثه ، كنت اتمنى لو وفر لدراسته من وجه عام ثلاثة امور :

١ – اتصاله – باكثر مما فعل – بكتب الغزالي نفسه ، كي تجيء الدراسة اكثر تحقيقاً وصلة بجوهر الفكر الذي يعالجه ، وهي مبذولة ميسرة مثل المجموعة المنشورة بعنوان فرائد اللالي ورسالته النفسية والمجموعة المشتملة على مشكاة النور وايها الولد الخ ومحك النظر والجام العوام والمنخول .. ولو فعل لما تميل في ادراك وتحديد معنى الغزالي بالنور ، استناداً الى رسالته المشكاة المنشورة في المجموعة المذكورة والمثبتة في تفسير الفخر الرازي عند آية « الله نور السموات والارض » .

٢ – تصنيفها الى ماكان الغزالي فيه منها اتباعياً ، والى ماكان فيه منها ابتداعياً .

٣ – تأريخها تأريخاً فكرياً .. وكنت اتمنى ايضا لو وفر لها من وجه خاص : توخي الدقة بالرجوع الى تحقيق المطالب الكلامية واستشفافها من قرب ، دون الاكتفاء بنتائج استشراقية قد يستغلق فيها وجه الغرض الحقيقي للباحث الكلامي ، مثل مسألة « التحسين والتقبيح العقليين » وهكذا .

ومن بعد هذا وذاك ، يجدر بنا التنويه بقيمة الفكرة التي ضمنها مقدمة كتابه ، تلك الفكرة المتزنة ادراكاً .. ومهما يكن من شيء فالكتاب بحث جدير بالعناية ، فهو لم يخطىء سبيل التوفيق ، على انه اصابه في اكبر نواحيه .

– ٢ –

فلسطين اندلس الشرق

للاستاذ محمد جميل بيهم – ٢٨٢ صفحة – مطبعة صادر وريحاني – بيروت

فلسطين ، تنزل قضيتها اليوم في المقدمة بين قضايا العرب ومشاكلهم الكبرى ، وتستبد بكل اهتمامهم .. وحق لها ذلك التقديم وهذا الاهتمام ، لان على صعيدها تمثل فصول افظع مأساة عرفها التاريخ كل التاريخ .

نعم في كل مكان من بلاد العرب ، نضال من اجل الحرية او من اجل استكمال مظاهر الوجود السياسي ، ولكن في فلسطين وحدها نضال من اجل الحياة ضد الموت ، من اجل البقاء ضد البوار .

فلا بدع ان نرى الاحرار من كتاب العرب ، والاحرار من مفكريه ، يبادرون الى اختصاص قضيتها بالتأليف والمعالجة من شتى وجوهها .. ولعل كتاب الاستاذ بيهم الجديد جاء اكثرها فائدة ، من جهة انه لم يكتف بدرس القضية من جانب نظري دفاعي فقط ، بل اهتم اولا وبالذات بالجانب العملي النضالي الذي يحقق كسب القضية .

والاستاذ بيهم في الكتاب ، وان بدا في العنوان وخلال البحث ، اكثر ميلا الى التشاؤم . فانه متشائم من نوع التشاؤم التحريضي الاستفزازي ، الذي يحرك الحفيظة العربية كي تنهج في تطبيق الخطط ، نهجاً لا وهن فيه ولا فتور .. فهذا يوم له ما بعده ، والا فكل نضال من بعد ، يكون بعد «فوات الوقت وقيام القطار » .

وهذا المدار او القطب التشاؤمي ، الذي جنح الى ادارة حركة الكتاب عليه ، جعله ابعد ما يكون عن العنصر الشعري في الاحكام التي ارسلها كما تقضي الدقة والتحري البصير .

والجميل انه لم تعد فيه نزعة على نزعة ، فقد اتصلت على قلمه نزعة المؤرخ الاحصائي الدقيق ، ونزعة المخطط الكفاحي الذي يغتنم كسب المعركة من اية وجوهها ، وقبل كل شيء .

وقد ابدى الاستاذ المؤلف ، كل ذلك بقدرة فائقة على حسن التصنيف والتبويب والتقسيم .. والحق انه اشتمل على اقوم الخطط للظفر بهذه القضية التي هي معقدة عسيرة الحل .

فجدير بالعرب – وقد وقفوا موقف النضال على المكشوف اذا ارادوا الجد – ان ينظروا الى القضية الفلسطينية ، نظر الاستاذ بيهم اليها ، وان يأخذوها مأخذه من العناية بالبرامج التطبيقية العملية ، ومأخذه ايضاً من الاحكام العنيف والعزم الفائر ، دون ما وهن او تراخ فاتر .

– ٣ –

الالحاد في الاسلام

للدكتور عبد الرحمن بدوي – ٢٢٨ صفحة – منشورات مكتبة النهضة – القاهرة

الاستاذ المؤلف ، منتج ضخم . اراد ان يمس فروع الدراسة الثقافية والادبية على تنوعها ، بجس جديد اذا استقام لنا الاداء

في هذا التعبير .

ففكر وانشأ ، وارخ واستخلص ، وكان في كل اولئك طائفاً مع دائرة من هذا الحس .. حتى ليخيل انه استحيا في نفسه « دار الحكمة » عصر المأمون ، فهو يؤدي مهمتها تعريفاً وتأسيساً بجهد وان يك فرديا فانه يصيب الفكر العربي المستوفز بكثير من الخير الى كثير من الخصب .

على انه يرى من خلال اسفاره ، انه من ذوي الاستعداد العلمي « الانسايكلوبيدي » ، الذي يد بحسن التتبع ويتوخى رغبة الاستيعاب ، باكثر من التماس شيء آخر .

وهذا الكتاب الذي نعرف به اليوم ، درس لظاهرة فكرية وان كانت خطرة فانها شيقة ايضا ، بما فيها من قلق وتعقد احيانا واعتداد بكبرياء العقل دائما ، ولذتها في انها دعابة العقل وسخريته بنفسه ، في وضعين متقابلين .

والمؤلف يمضي بكلمة التصدير في محاولة تحليلها وردها الى بواعثها الحقيقية في الطبيعة الحضارية حالما تتعقد وتميل الى التحجر واستنفاد الامكانيات ، وهي تختلف وفقا لروح الحضارة فيقيم الفروق ويدل على مكان التمايز في الالحاد الغربي والاخرين الاغريقي والعربي ، ويركن في التحليل الى مقدمات يعتبرها نهائية بمنزلة الاوليات ويبالغ في الاطمئنان اليها واعتمادها ، كما يدركه هذا الاعتماد وهذا الاطمئنان في بحث الروح العربية وخصائصها .. ثم يذهب في درس بعضه مجتلب وبعضه مصنوع لبواكير الالحاد كالزندقة ، وكيف ذهبت في معارج ومنازل حتى انتهي الالحاد ببلوغ الاوج في ابن الراوندي وجابر بن حيان ومحمد بن زكريا الرازي .

وهكذا اتفق للمؤلف اثارة موضوع شائق شائك ، له فضل تجبيره وتفسيره والكشف عن مذاهب مجاريه وتياراته في اقنيتها .

عبد الله العلايلي

الفنون الادبية

للاستاذ شكري فيصل — ٢٥٠ صفحة — المطبعة الهاشمية — دمشق

تاريخ الادب العربي عندنا في حاجة الى ثورة . ما زلنا الى اليوم ندرس الادب العربي وندرّسه على الطريقة الاولى ، طريقة اول من الف في هذا الموضوع المرحوم زيدان ، لم نبرح ولم نرم ، فنقسم التاريخ الى عصور ، ونقسم العصور الى فترات ، ونكاد لا ندري من المؤلف كاتبا كان او شاعراً الا حياته وشذرات مما قيل فيه .

وهنا كتاب جديد ، جديد حقا . انه ينسخ القديم ليمكن بطريقة جديدة . واذا كانت دراسة الادب الحق لا تكون في رأينا الا على انه (اي الادب) موجات متلاحقة آخذ بعضها برقاب بعض ، والا على انه مذاهب من القول والفكر تختلف كثيرا وتتغاير كثيرا — اذا كانت هذه هي دراسة الادب الحق فليس من شك في ان صديقنا اللامع الاستاذ شكري فيصل قد خطا في سبيل التأريخ الجديد للادب العربي خطوة حسنة .

يهدف الاستاذ فيصل في كتابه هـذا الى دراسة النصوص الادبية على اساس « الفنون » . ومن هنا كان في الكتاب مختارات من الوصف ، والقصص والفخر والمكارم ، والرثاء وشكوى الزمان ، والمدائح والاعتذاريات ، والهجاء والتهكم ، والوطنيات والقوميات ، والاجتماعيات ، والحكمة والتأمل ، والرسائل والمقالات ، والمفاخرات والمناظرات ، والحوار ، والنقد الادبي ، والنثر العلمي ، ومن هنا كذلك كان اسم الكتاب « الفنون الادبية »

وطريقة المؤلف في ذلك ان يجعل لكل من هـذه الفنون بابا يختار له نماذج تطول او تقصر ، وتكثر او تقل مشروحة اتم الشرح ، مع تعريف بالكاتب واف واسئلة تثير في ذهن القارىء افانين من النظرات الادبية والبيانية والنفسية يصبح معها الاثر الادبي واضحا مشرق الجبين .

واذ كان الكتاب انما وضع في الاصل لمطالعة المدارس المتوسطة السورية ، وفقا للمنهاج الحكيم الذي اضطلع بوضعه مفخرة الشام اليوم ساطع بك الحصري — فقد جاء موجزا بالنسبة الى القارىء المتأدب الظامىء الى مثل هذه الآثار تضعها العصبة المختارة ممن وهبت الذوق وقدر لها درس الادب في الجامعات ، ومنهم شكري فيصل .

وهكذا حق لنا ان نتمنى على المؤلف المزيد من مثل هذا الصنيع الصالح عسى يكون لنا ، بعد ، تاريخ ادبي شامل يستغرق العصور كلها من الجاهلية حتى العصر الحديث ، ولكن على اساس الفنون والمذاهب ، لا على اساس العصور والسياسات .

منير البعلبكي

قوس قزح

للدكتور شكيب الجابري – ٢٠٦ صفحات

دار اليقظة العربية – بدمشق

كنا نحسب ان الدكتور شكيب الجابري وقد انهمك في الوظائف العليا التي تداولته في السنوات الاخيرة لن يجد متسعاً من الوقت لمتابعة انتاجه الادبي الذي بدأه بكتاب « نهم ». لدى عودته من اوروبا .

ولكن الادب اذا ما كان موهبة اصيلة في نفس صاحبه غلب بسحره كل شأن فيها من شؤون الحياة ...

لقد امتلك الادب علية نفسه واستولى على مكامن الحس فيها فاذا بك تراه اذ يدرس العلوم ينتهي من دراسته اديباً واذا دخل الوظيفة كيفما كانت ظل فيها اديباً بل انت تراه في حياته الخاصة والعامة ، في صلاته بالناس فتشعر كانما الحياة في نظره قطعة فنية يعيشها باحمه ودمه اولا لكي ينتجها بروحه الفني المتمرد بعد حين ...

ولعل هذا هو المفتاح الذي يمكننا من الدخول على شكيب الجابري في عالمه الفني . كتبه الثلاثة « نهم » « قدر يلهو » « قوس قزح » سلسلة ذكريات عاشها هو بنفسه في اوروبا وباتت تهدهد روحه كيفما اتجه في الحياة ، حتى اذا صار الى وطنه واصطدم بواقع جديد تكاد تنقطع الصلة بينه وبين الواقع الذي استهلك وجوده في اوروبا ، لم يبق امامه الا الحياة الفنية يبعث فيها اثراً بعد الآخر ذلك الماضي الرؤوم .

ولقد بلغ الجابري الفنان الذروة من ادبه في كتابه الاول « نهم » . اذ جاء هذا الكتاب فتحاً جديداً في الادب العربي . قصته للشهوة الانسانية لم يكن للعربية بها عهد . وتبعه « قدر يلهو » يتجاذب عناصره ويتنازع مسرحه الغرب والشرق . فكأنما كان قصة غربة الفتى الشرقي يستشعرها بعد العودة في وطنه وبين اصحابه وذويه !

ومنذ اسابيع صدر الكتاب الثالث « قوس قزح » وهو كما يعترف المؤلف « قدر يلهو » في ولادة جديدة على لسان امرأة بعد ان كانت ولادته الاولى على لسان رجل ! المرأة التي خلفها شكيب الجابري ارملة الحب الثكلى في المانيا تروي لنا مذكراتها منذ اللقاء الاول في المانيا ، حتى الليلة التي لقيها فيها راقصة في ملهى من ملاهي دمشق

وتتبع هذه المذكرات لترى فيها قصة المرأة وقد احبت ليفنى وجودها فيمن تحب . ولترى فيها بصورة خاصة كيف ذابت شخصية هذه العاشقة الالمانية في نفس فتاها الشرقي فاذا بها لا تملكه قلبها وجسدها فحسب ، بل إن روحها وافكارها اصبحت وكأنها قبس من روحه وافكاره ، وها هي تذهب في تقديسها لتاريخه العربي ولابطاله الاوائل محمد وابي بكر وعمر الى ابعد مما يذهب اليه هو ومواطنوه ...

علها معجزة هذا الشاب العربي علاء الدين مع المرأة ! وليست معجزته مع « قوس قزح » بطلة الرواية الاولى من نوعها . فقد سبقتها في « نهم » اخريات بلغن في الوله به حد العبادة . فهل تذكر اي روائي من رواة فرنسا اشتهرت عنه قصص كلف النساء به وشغفن به شغف صاحبات امرأة العزيز بيوسف ؟

لا شك انك قرأت بيير لوتي في رواياته عن نساء الشرق والغرب وذكرت كيف يحكي لنا فيها انه مهوى افئدتهن حيثما حل ! واذا كنت اذكره في معرض حديثي عن شكيب الجابري فما ذلك لمقارنة اريدها بين اديبها ولا لقربى احسستها في فنيهما فلكل منهما عالمه الفني الخاص . ولكن هذين العالمين على اختلافهما وتفاوتهما يلتقيان عند نقطة واحدة . تلك هي شعور كل منهما في كل ما يكتب ان المرأة مفتونة مأخوذة به ، وذلك ما حملني على ان اتساءل : هل يستمر الجابري في هذا الطريق فيصبح بيير لوتي سوريا ؟ ؟

حسن صعب

محمد عبده

للاستاذ مصطفى عبدالرازق – ١٣٢ صفحة

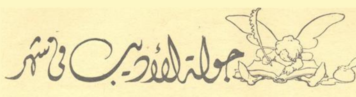
منشورات دار المعارف – بمصر

هذا كتاب كتبه امام مصلح عن امام مصلح ، شدت بينهما مشاعر واحدة من الرغبات الواعية ، فاحدهما شق الطريق والثاني لم يفته امر التعبيد .

والاستاذ المؤلف كان وفياً باستاذه حقاً ، فقد سبق وترجم الى الافرنسية رسالة استاذه ، واليوم يترجم للناس حياته في كثير من صدق التعريف الى كثير من الاعتراف بالفضل .

وفي هذا الكتاب الذي سوف يتلى بكتاب آخر ، اطاف بنشأته ودراسته ومقامه في الازهر وصحبته للافغاني ودعوته الى الاصلاح وانخراطه في ميدان التدريس فالصحافة وبمبادئه الوطنية

في اول نيسان الفـائت توارى في مدينة ناطحات السحاب وجه فذ من وجوه الشعر العربي الحديث .
هـذا الوجه هو نسيب عريضه ،



الشاعر الذي استطاع ان يعبر عما يختلج في اعماق المهاجر من احاسيس وما تهمس به نفسه من حنين نحو وطنه الذي غادره .. وهيهات ان تتيح له الايام عودة اليه .. فيصب هذه الاحاسيس في الفاظ ، فاذا هي صور قد نفخت فيها الروح ، حية متحركة .. ولكنها صور قاتمة حزينة دامعة ، لانها وليدة التلهف الممض ، والشكوى الدائمة ، والخيبة المريرة .

وهذه الصور تحمل الى نفس القارىء مع ما حملت من روح مؤثرة وموسيقى نفسية ، تفكيرا فلسفيا ينم عن ثقافة عقلية مكينة .

والاديب وفاء بذكرى شاعر « الارواح الحائرة » تخص جولتها هذا الشهر به ، فتنشر ترجمة لحياته بقلم الاستاذ وديع ديب وتنقل عن زميلتها « السمير » « النيويركية » قصيدتين عن نسيب عريضة ، الاولى له نفسه ، والثانيه للاستاذ ايليا ابي ماضي .

ولنا عودة ، ندرس فيها شعر عريضة ، بعد ان يصل ديوانه «الارواح الحائرة» الى لبنان، هذا الديوان الذي تم طبعه يوم وفاة شاعره.

نسيب عريضة

☆

ترجمة الشاعر

في مدينة حمص المدينة القائمة على شطآن العاصي بحدائقها النضرة وبساتينها الظليلة ، في هذه المدينة التي تملأ النواعير اجواؤها نغما حنونا رؤوما . في هذه المدينة الغنية بغراس الاعناب والتين والرمان ، نشأ الشاعر نسيب عريضه فراشة تتواثب غنوجا على كوم الاوراد في كل رابية وواد ، وكنارا ممراحا يتأرجح في ذروات الباسقات ، وقد ملأ الحدائق والرياض بالنغمات المسكرات .

في هذه المدينة ولد الشاعر في شهر آب ١٨٨٧ فكانت مدارج الطفولة وملاعب الحداثـة تلك هي مغان يميل لها قلبه حنينا وتتفجر لها اضلاعه عيونا فيقول وقد استوقفته سلة فواكه رآها في ديار غربته .

واستوقفتني على حانوت بقال — بيني وقوف مشوق عند اطلال
سلة لمحتها العين في الحال — فيها فواكه لم تخطر على بالي
ثمار كرم وتين فوق رمان
وقفت رغماً وحولي الناس ما وقفت — اراقب السل والاثمار قد بسمت
كأنها اذ رأتني مدهشاً عرفت — اني غريب فحيتني وما نطقت
فطار قلبي حنيناً نحو اوطاني

وما ان ايفع الصبي او كاد حتى ارسـله والده الى مدينة الناصرة من اعمال فلسطين . الى مدينة يسوع الناصري معلـم الانسانية وابنها البار . ارسله والده لعله يقتبس من انوارهـا هدى ومن تعاليمهـا عرفانا . وفي تلك المدرسة المسكوبية الارثوذكسية صرف نسيب بضع سنوات كان فيها مثال المتأدب النبيه وفي تلك المدرسة جمعته الصدف الطيبة برفيق صباه الشاعر الاديب ميخائيل نعيمه .

وكان نسيب قد سبقه اليها بسنتين هما ، كما ذكر لي نعيمه ، الفرق بين عمريهما على وجه التقريب . وبقي عريضة في معهد الناصرة خمس سنوات اتقن فيها العربية والروسية الى حد ما . وكان اذ ذاك شغوفا بقرض الشعر مبتعـدا في نظمه كما يذكر صديقه نعيمه ، عن الموضوعات الشعرية المألوفة .

وقد كان على ما يستنتج من شعره للناصرة والناصري اثر بالغ في روحانيته السمحاء وصوفيته المتسامية ولعله استوحى قصيدته « سيان » من قصة الزانية التي جاء بها جماعة من اليهود الى المسيح ليقر رجمها عملاً بالشريعة الموسوية فابى الناصري العمل بها قائلاً للجمع المزمجر الصاخب . « من منكم بلا خطيئة فليرمها بحجر اولا وكان ان انصرف الجمع خجلاً واذ ذاك يلتفت اليها يسوع قائلاً : « اذهبي وليغفر الله لك » فيقول شاعرنا :

سيـان ان تصني — النصح أو تغضي
يا نفس فالآتي — مثل الذي يمضي

الى قوله

الجوهر السامي يبقى بلا رجس
كم موس تمضي عذراء للرمس

ثم هاجر نسيب الى اميركا سنة ١٩٠٥ واقام هناك في مدينة نيويورك حتى وفاته وهناك انشأ مجلة الفنون سنة ١٩١٣ وقد شاركه في عمله هذا الاديب نظمي نسيم واستمرت المجلة تصدر الى سنة ١٩٢٠ وهي كما يقول نعيمة فيها « اول مجلة طلعت على العالم العربي ببواكير النهضة الادبية التي جعلت مشعلها فيا بعد الرابطة القلمية » فقد كان يساهم في تحريرها جبران والريحاني ونعيمة وغيرهم من ذوي الاتجاه الجديد في المهجر . كذلك اسس نسيب عريضة اول مطبعة فنية في المهجر دعاها « مطبعة الاطلانتيك » ومنها صدرت الطبعة الاولى لكتاب جبران « دمعة وابتسامة »

ثم اضطر اخيراً لترك مشاريعه الخاصة وراح يساهم في تحرير بعض الصحف العربية كجريدة الهدى لصاحبها نعوم مكرزل وجريدة مرآة الغرب لصاحبها نجيب دياب وما زال في غلاب الدهر حتى سَنة ١٩٤٢

يا اخي يا اخي المصاعب شتى
وبعيد مرادنا والموارد
وامام العيون درب عسير
لم تسر قبلنا عليها الاوابد
مظلم موحش كثير الافاعي
والسعالى المستهويات الطرائد
غير ان المسير لا بد منه
ان اردنا ادراك بعض المواعد"

وفي الحرب العالمية الثانية . طلبت حكومة الولايات المتحدة اليه ان يعمل محرراً في القسم العربي فلبى الطلب راضياً لامر لعله يعود على وطنيه الاميركي والسوري بالخير والبركة . وهو الذي احبهما حباً جماً ولا سيما وطنه الاول سوريا التي قاست في الحرب العالمية الاولى اهوالاً كباراً مما اهاب به وبزملائه لمهاجرين الى ايقاظ الهمم العربية لعلها تثور فتتخلص من نير الاتراك الظالمين

والظاهر ان قصائدهم الوطنية لم يكن اثرها في بادىء الامر سوى صيحات في واد او نفخة في رماد . الامر الذي كان له اسوأ الاثر في نفوسهم حتى يئس البعض منهم او كاد فيقول عريضة من قصيدة موضوعها النهاية معرضاً بامته .

لا وربي – ما لشعب – دون قلب – غير موت من هبة
فدعوا التاريخ يطوي سفر ضعف ويصفي كتبه !
رب ثار – رب عار – رب نار – حركت قلب الجبان
كل ذي فينا ولكن لم تحرك ساكنا الا اللسان .

ويعمل الشاعر في المكتب الحربي للانباء مدة سنتين ثم يستقيل لظروف صحية من عمله هذا وهنا ينصرف الى اعداد ديوانه « الارواح الحائرة » للطبع . فطبع الديوان وارسل للتجليد غير ان الموت لم يمهل صاحبه فتوفاه الله قبل ان يشتار اري جناه وذلك في الخامس والعشرين من اذار سنة ١٩٤٦ على ان في اعتناء الاديب عبد المسيح حداد صاحب جريدة السائح المهجرية ونسيب « نسيب » اقول في اعتنائه باعداد الديوان وحرصه على ابلاغ رسالة الشاعر ما يبعث على الاطمئنان وقد اخبرني استاذي الكريم الدكتور نبيه فارس والصديق الاديب مخايل نعيمة انهما موعودان بتسلم بعض النسخ قريبا على رجاء توزيعها على المحلات والجرائد الراقية ومن ثم يوضع الديوان للبيع في المكاتب العامة . فاهلاً بالارواح الحائرة تحمل الينا رسالة شاعر الارواح.

وان كان لا بد من كلمة في الموضوعات :

لعريضة منزلة في الشعر قد لا تقل عن منزلة ابي ماضي في شيء ، والمعجبون به من الادباء والمؤرخين الكبار نفر ليس بقليل . اعرف من هؤلاء الدكتور محمد مندور في مصر وفريقاً من اساتذة وادباء جامعة بيروت الاميركية وهذا البلد الطيب .

ومما قاله نعيمة على اثر موت صديقه الشاعر : « وانا لو شئت ان اصف النقيد بكلمتين لا سميته « شاعر الطريق » فما وقفت في كل ما وقفت عليهم من شعراء عرب وغير عرب على شاعر افاض وابدع في وصف طريق الحياة وما يرافق سالكيه من تحرق على معالم

نسيب عريضة

تركوها خلفهم وحنين الى معالم تلوح لهم بعيدة المنال ، الى حد ما فعل نسيب عريضه . فهو يحس الحياة سيرا متواصلا لا راحة فيه ولا وقوف . ويحس الكون طريقا اوله غيبوبة الجهل وآخره غيبوبة المعرفة، فلا ينقطع يحث نفسه وقلبه الى الامام. وللمازني رأي في عريضة يحسن بنا اثباته تدليلا على ما للشاعر من فضل في حقل التجديد الادبي قال : ومن مظاهر هذه النزعة في اسلوب الكتابة وفي الاوزان المختارة لصب المعاني الشعرية فيها قول نسيب افندي عريضه من قصيدة اسمها « النهاية » — وقد مر ذكرها — وهو وزن مقبول يسيغه الذوق السليم .

ولست مغاليا في شيء اذا قلت انني كنت في دراستي للشعر المهجري شديد الاعجاب بالشاعر وشعره الذي اكسبه الصقل اشراقا والحنين حلاوة والتأمل عمقا والابتكار طرافة وجدة .

وديع ديب

الجامعة الاميركية في بيروت

يا نفس

☆

شربت كاسي امام نفسي وقلت يا نفسي ما المرام
حياة شك وموت شك فانغمر الشك بالمدام
آمالنا شعشعت فغابت كالآل ابقى لنا الاوام
لا بأس ليس الحياة الا مرحلة بدؤها ختام

***

اخذت نفسي الى طبيبي وقلت . يا طب ما العلاج
فراح يأسو سقام جسمي ويحسب الداء في المزاج
فقلت يا صاح جف زيتي فباطلا تجبر السراج
اذا خبا النور في الدراري فما ترى ينفع الزجاج

***

يا نفس رحماك اين نمضي فما امامي سوى بدور
قد سامك العقل سوم علج ما لا تطيقين من امور
فلنترك العقل حيث يبغي فليس للعقل من شعور
اتتركين الانام تركا نحرق من بعده الجسور

***

فصاحت النفس بي وقالت مالي وللناس والزحام
اصبت يا نفس فاتبعيني فليس كالغاب من مقام
يا غاب جئناك للتعري انا ونفسي ولا حرام
فيذع الغصن ما يراه منا اذا احسن الكلام

***

لو حدق المرء في البرايا لشام ما لا ترى العيون
ما حولنا عالم خفي تدركه الروح في السكون
كم مبصر لا يرى واعمى يرى ويدري الذي يكون
يا ويح من لا يرون شيئا الا اذا فتَّحوا العيون

نسيب عريضه

غائب حاضر

☆

لم يبرح الروض فيه الماء والزهرُ
ولم يزل في السماء الشمس والقمر
لكنها الان في اذهاننا صور
شوهاء . لا القلب يهواها ولا النظر
قد انطوى حسنها لما انطوى الشاعر

***

قل للمغني الذي قد غص بالنغم
اني نظيرك قد خان الكلام فمي
ومثل ما بك بي من شدة الالم
اما العزاء فشيء زال كالحلم
كيف السبيل الى خمر ولا عاصر

***

مضى الذي كان في البلوى يعزينا
وكان يحيي — اذا ماتت — امانينا
ويسكب السحر انغاماً ويسقينا
مضى « نسيب » النبي المصطفى فينا
وصار جسما رميما في يد القابر

***

كم جاءنا في الليالي السود بالالق

وبالندى من حواشي القفر والعبق
وبالاغاني وما من صادح لبق
وانما هو سحر الحبر والورق
السحر باق، ولكن قد مضى الساحر!

***

كالشمس يسترها عند المسا الغسق
ونورها في رحاب الارض منطلق
تذوي الورود ويبقى بعدها العبق
حتى لمن قطفوا منها ومن سرقوا
كم عالم غابر في عالم حاضر
ان كان مات « نسيب » كالملايين
من العبيد الموالي والسلاطين

فالحي في هذه الدنيا الى حين
لكن نسيبٌ الى كل الاحايين
وان نأى وسما للعالم الطاهر

***

لسوف يرجع عطراً في الرياحين
او نسمة تتهادى في البساتين
او بسمة في ثغور الخرد العين
فالموت ما هدَّ الا هيكل الطين
لا تحزنوا . فنسيب غائب حاضر

ايليا ابو ماضي

تتمة مقال « عرب الشمال » المنشور على صفحة ١٤

☆

ونعرف تاريخ الكتابات الثمودية من كتابة ثمودية وجدت مكتوبة بجوار نقش نبطي عثر عليه المستشرقان جوسان وسفنياك في الحجر وهو مؤرخ في سنة ١٦٢ من التاريخ النبطي اي في سنة ٢٦٧ م .

ويدل هذا النقش على ان اهل الحجر كانت تعرف في هذا التاريخ الكتابة الثمودية ، ولكنها كانت مقصورة على اناس قليلين لان المتن المهم مكتوب بالنبطي .

وهذه الكتابات وان كانت قصيرة ومبهمة في بعض الاحيان الا انها تدل بما تتضمنه على ان عرب الشمال كانت لهم قبل الاسلام كتابة يكتبون بها اسماءهم وآلهتهم ويسجلون بها بعض صور من حياتهم الاجتماعية ، مما يدل على أنه كانت لهم حضارة محلية في ذلك الزمان .

د – الكتابات الصفوية : وجدت الكتابات الصفوية في الحرة الواقعة بين جبل الدروز وتلال الصفاة جنوب شرقي دمشق وقد وجد العلماء من هذه الكتابات ما يقرب من ٣٠٠٠ كتابة . والخط الصفوي قريب من الخط الثمودي ، كذلك اللغة الصفوية واسماء الآلهة الموجودة في هذه الكتابات قريبة ايضاً مما نجده في المخربشات الثمودية ، فنجد هإلاه = الاله ، هإلات = اللات ، ورضى ، كما نجد فيها ايضاً اسماء الآلهة السامية الشمالية مثل ذو الشرى ، وشيع هقوم = شيع القوم ، رحيم وهو الاه تدمري ، وبعل سامين وهو الاه ارمي وذلك لان الصفويين اختلطوا اختلاطاً تاماً بجيرانهم الساميين الشماليين فتأثروا بالحضارة السامية الشمالية ، ولكنهم ظلوا محتفظين بخطهم ولغتهم وتعاليم آلهتهم السامية الجنوبية القديمة . وترجع الكتابات الصفوية الى القرون الثلاثة الاولى الميلادية

القاهرة — خليل يحيى نامي

مصادر هذا البحث :

محاضرات الاستاذ ليتمان في الجامعة المصرية سنة ١٩٣٠

Nielsen, Handbuch der Altarabischen Altertumskunde, 1, 1927.

René Dussaud et Frédéric Macler, Mission dans les régions Désertiques de la Syrie Moyenne Paris 1903.

Ryckmans, Les Noms Propres Sud-Sémitiques, 1, III Louvain 1934.



٣٠ نوار ١٩٤٦ نشر ملوك ورؤساء العرب بياناً عن المؤتمر الذي عقدوه ينص على انه بعد المداولة في المسائل العامة والخاصة بالشؤون العربية وجدوا انفسهم متفقين على ان البلاد العربية ترغب في السلم الدائم ، واعلنوا عن عزمهم على حفظ فلسطين ورفض دولهم لاية هجرة جديدة وطلبوا الى بريطانيا وامريكا عدم اتخاذ تدابير ماسة بحقوق العرب تفادياً للاضطرابات التي قد يكون لها اسوأ الاثر في السلم العام ، واعلنوا انهم يعتبرون قضية مصر وطرابلس وبرقة قضية عامة للعرب .

٤ حزيران – استعرض المستر بيفن في مجلس العموم البريطاني سياسة بريطانيا الخارجية وعلاقاتها بالاتحاد السوفياتي وحمل حملة شديدة على سياسة روسيا الخارجية واتهمها بالغموض والمعاكسة .

٥– انتصرت الجمهورية في ايطاليا على الملكية ، وذلك في الاستفتاء العام لتقرير مصير الملكية .

وصل سمو الامير عبد الاله الوصي على عرش العراق الى لندن .

٦– اعترفت الولايات المتحدة وايطاليا والحبشة باستقلال المملكة الاردنية على اساس النظام الملكي الجديد .

٧– أعلن الرئيس ترومان انه لايزال مصرا على وجهة نظره بشأن فلسطين ، فهو يرى تنفيذ توصية تقرير لجنة التحقيق الانكليزية الاميركية ، التي تقول بادخال مئة الف يهودي الى فلسطين فورا .

٨– بدأت في بلودان – سورية الدورة الاستثنائية لجامعة الدول العربية بحضور مندوبين عن جميع الدول المشتركة في الجامعة . وهذه الدورة خاصة ببحث قضية فلسطين .

١٠ – بدأت حملة الارهاب الصهيونية في فلسطين فنسف الارهابيون ثلاثة قطارات واحرقوها .

وجد ملك سيام « انا ندا ماهيدول » ميتاً في قصره ، وفي رأسه جرح رصاصة . وقد نودي بشقيقه « فوميفون ادرلدت » البالغ من العمر ١٨ عاماً ملكاً خلفاً له مع مجلس وصاية .

١٢– غادر سماحة الحاج امين الحسيني فرنسا الى جهة مجهولة

رفض الجنرال ديغول حضور الحفلة الرسمية التي نظمتها الحكومة في ١٨ حزيران تذكارا لاول نداء وجهه الجنرال ديغول للشعب الفرنسي لمقاومة الالمان .

١٣– قرر مجلس جامعة الدول العربية مايلي :

١– تأليف لجنة خاصة تدعى لجنة فلسطين تتولى الاشراف على كل ما يتعلق بفلسطين

٢– تأليف هيئة فلسطينية عليا قوامها جمال الحسيني واحمد حلمي باشا والدكتور حسين الخالدي واميل الغوري .

٣ – المطالبة بتسريح القوات اليهودية وتجريد الارهابيين من السلاح بفلسطين .

٤ – ترجب الدولة العربية بكل تشريع يفرض عقوبات على بائعي الاراضي والسماسرة والمهربين .

٥ – العمل بمختلف الوسائل لانقاذ اراضي فلسطين وبذل المساعدات لذلك

٦ – اصدار طوابع بريدية ومالية لمساعدة عرب فلسطين وانشاء صندوق خاص بفلسطين تساهم فيه الحكومات العربية والشعوب العربية

٧ – اعادة تنظيم الدعاية العربية وتقويتها .

٨ – تشديد المقاطعة وتوسيع نطاقها وتعزيز مراقبتها .

وقرر المجلس ارسال مذكرة الى بريطانيا ومذكرتين الى اميركا بشأن فلسطين ايضاً

١٤ – وصل الملك امبرتو الى البرتغال قادماً من ايطاليا بعد ان فازت فيها الجمهورية وقد وجه الى شعبه قبل مغادرته ايطاليا رسالة مؤثرة

١٥ – زار المارشال مونتغمري جلالة الملك عبدالله في عمان

وكان المارشال قد زار قبل ذلك جلالة الملك فاروق ملك مصر .

١٧– نسف الارهابيون الصهيونيون عدة جسور على حدود فلسطين ، فتوقفت مواصلات سكك الحديد بين فلسطين وسورية والمملكة الاردنية .

قابل سمو الامير سيف الاسلام فخامة رئيس الجمهورية اللبنانية .

اعترفت فرنسا باستقلال شرقي الاردن على اساس النظام الملكي الجديد .

١٨– خطف الصهيونيون خمسة ضباط بريطانيين في مدينة تل ابيب بفلسطين .

سافر فخامة رئيس الجمهورية اللبنانية الى تركيا يرافقه رئيس الوزارة ووزير الدفاع ونائب .

١٩– وصل الى قصر عابدين سماحة الحاج امين الحسيني مفتي فلسطين الاكبر فقيد اسمه في سجل التشريفات وحظي بمقابلة جلالة الملك فاروق وقال انه يعتبر نفسه ضيفاً على البيت العلوي الكريم .

٢١– قامت مظاهرات واضطرابات في مختلف المدن الهندية احتجاجاً على اعتقال الزعيم البانديت لال نهرو .

٢٤ – الف المسيو بيدو الوزارة الفرنسية وقد اشترك معه الشيوعيون والاشتراكيون . وهكذا انتهت الازمة الفرنسية بعد ان وافق بيدو على زيادة رواتب العمال والمستخدمين

٢٦– لايزال مؤتمر وزراء الخارجية الاربعة منعقدا في باريس دون ان يصل الى اتفاق بشأن قضايا العالم الحاضرة

٢٩– عاد رئيس الجمهورية اللبنانية من رحلته الى تركيا

١ تموز – القيت في منتصف الليل القنبلة الذرية الرابعة على اسطول ضخم يتألف من زهاء سبعين قطعة حربية في جزر « بيكيني » فغرقت باخرتان فقط واشتعلت النار في عدة بواخر ، مما جعل قادة البحر يستخفون بنتائج القنبلة الذرية ويقولون ان الاساطيل البحرية تتحداها .

٢ – اتفق وزراء خارجية الدول الاربع الكبرى على اعتبار تريستا ميناء دولية .

مطابع صادر ريحاني ، بيروت ، لبنان – تلفون ٦٢–٦٨